الإصدار الثاني

الطبعة الثالثة

الدليل إلى القرآن

سؤال وجواب



عمرو الشرقاوي

للنشر والتوزيع - القاهرة

الإصدار الثاني
الطبعة الثالثة
2022م / 1444هـ

الدليل إلى القرآن

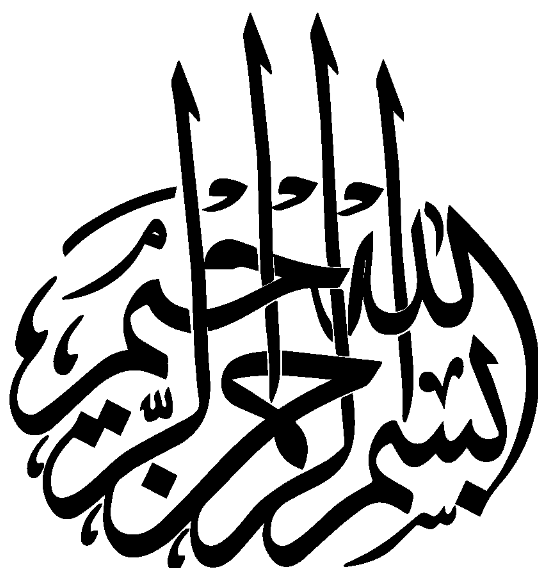
الترقيم الدولي: 3-810-431-614-978
رقم الإيداع: 101 / 2021م
عدد الصفحات: 250 صفحة
المقاس: 17 × 22 سم
الكاتب : عمرو الشرقاوي



العنوان الرئيسي: ١٠ شارع البيطار
خلف جامع الأزهر - القاهرة - مصر
ت: ٠١٠٠٥٢٢٦٤٠٤
www.al3asrya.com
info@al3asrya.com
Al3asrya1 Al3asrya

الدليل إلى القرآن

سؤال وجواب


بسم الله الرحمن الرحيم

محتويات الدليل

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ
وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾

[فُصِّلَتْ: ٤١-٤٢]

مقدِّمَةُ الإصدار الثاني

الحمد لله الكريم الوهَّاب، الرحيم التواب، غافرِ الذنبِ وقابلِ التوبِ شديد العقاب ذي الطَّوْلِ لا إله إلا هو إليه المصير، والصلاة والسلام علىٰ النَّبي الأوَّاب، مُبَلِّغِ الكتاب، وعلىٰ الآل والأصحاب، صلاةً تدوم إلىٰ يوم الحساب، ويكون لنا بها عند الله زُلفَىٰ وحسن مآب، وبعد:

لقد دعت الحاجة إلىٰ كتابة العلم لأهل العصر باللغة التي تناسبهم، وبالأسلوب الذي لا يجدون معه وحشة، وهذا ليس ببعيد عن صنيع علمائنا المُتَقَدِّمِين، قال الإمام الوَاحِدِي (ت: ٤٦٨): «إني كنت قد ابتدأت بإبداع كتاب في التفسير لم أُسبق إلىٰ مثله، وطال علي الأمر في ذلك لشرائط تقلدتها، ومواجب من حق النصيحة لكتاب الله تعالىٰ تحملتها، ثم استعجلني قبل إتمامه والتقصِّي عمَّا لزمني من عهدة أحكامه نفر متقاصرو الرغبات . . . إلىٰ إيجاز كتاب في التفسير، يقرب علىٰ من تناوله، ويسهل علىٰ من تأمَّله من أوجز ما عُمِل في بابه وأعظمه فائدة علىٰ متحفظيه وأصحابه.

وهذا كتاب أنا فيه نازل إلىٰ درجة أهل زماننا تعجيلًا لمنفعتهم، وتحصيلًا للمثوبة في إفادتهم ما تمنَّوه طويلًا، فلم يغن عنهم أحد فتيلًا»[1].

(١) الوجيز، للواحدي: (٨٥)، بتصرف، وانظر: خصائص التراكيب، محمد أبو موسىٰ: (٥٥).

ومن هنا جاء كتاب «الدليل إلىٰ القرآن» لتقريب علوم القرآن لأهل العصر، وقد نفع الله تعالىٰ به، وله الحمد والمنَّة، وطبع طبعات متعددة، وقرِّرَ في عدة برامج علمية، وقد دعت الحاجة إلىٰ إعادة النظر فيه، وإزالة ما قد يوهم غير المراد عند ناظريه، وإضافة ما يثريه.

وإذ أقدمه في إصداره الثاني، فإني أقف بباب الكريم سبحانه راجيًا أن ينفع به، وأن يكتب له القبول، وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم سبحانه جل شأنه، والحمد لله أن جعلنا من أمة القرآن، ونسأله أن يجعلنا من أَهْلِه الذين هم أَهْلُه!

وكتبه

عمرو صبحي علي الشرقاوي

فجر غرة ذي الحجة لعام (١٤٤١) من الهجرة النبوية

مقدِّمَة الإصدار الأول

الحمد لله الذي أنزل علىٰ عبده الكتاب، هدىٰ وذكرىٰ لأولي الألباب، وأودعه من العجائب العجب العُجاب، وجعله حاليًا بالأحرف السبعة وكمال الشرعة وفَصْل الخطاب، والصلاة والسلام علىٰ النَّبي الأوَّاب، وعلىٰ الآل والأصحاب، صلاةً تدوم إلىٰ يوم الحساب، ويكون لنا بها عند الله زُلْفَىٰ وحسن مآب، وبعد:

فإنَّ ثمار التجهيل التي تمارس علىٰ الأمة الإسلامية آتت أُكُلَها، وقد نال أعظم كتاب في الكون، وأشرف دستور للعالمين، القرآن الكريم، نصيبَه من هذا التجهيل.

فصرنا نرىٰ ونسمع من لا يعرف عن القرآن إلا اسمه، وعن المصحف إلا رسمه، لا يعرف شيئًا مما يتعلق بهذا الكتاب المجيد إلا معلومة شاردة، أو معرفة ناقصة.

وفي وسط هذا الظلام ظل أهل الحق وطلابه يسألون، وللمعرفة عن القرآن يتعطشون، ولأجل هؤلاء جاء هذا الكتاب.

حاولت عبر هذا الكتاب أن أشارك في تقريب القارئ من المشروع الحقيقي للأمة، مشروع (تلاوة القرآن)، تتميمًا لمقصد البعثة المحمدية، ﴿وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [النَّمل: ٩٢]!

«وحقيقةُ التلاوةِ هي التلاوةُ المطلقةُ التَّامَّةُ، وهي تلاوةُ اللفظِ والمعنىٰ؛ فتلاوةُ اللفظِ جزءُ مُسمىٰ التلاوةِ المُطلقةِ، وحقيقةُ اللفظِ إنما هي الاتباعُ، يقال: اتلُ أثر فلانٍ، وتلوتُ أثرهُ، وقفوتُهُ وقصصتُهُ، بمعنىٰ تَبعتُهُ، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ۝ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا﴾ [الشمس: ١-٢]، أي: تَبعَها في طلوع بعد غَيبتها، ويُقال: جاءَ القومُ يتلو بعضهم بعضًا، أي: يتبع، ويُسمَّىٰ تالي الكلام تاليًا، لأنَّهُ يُتبعُ بعضَ الحروف بعضًا، لا يُخرجُها جُملةً واحدةً، بل يُتبعُ بعضها بعضًا مُرتبةً، كُلَّما انقضىٰ حرفٌ أو كلمةٌ أتبعهُ بحرفٍ آخرَ وكلمةٍ أُخرىٰ، وهذه التّلاوةُ وسيلةٌ وطريقٌ.

والمقصودُ: التِّلاوةُ الحقيقيةُ، وهي: تلاوَةُ المعنىٰ واتِّباعُهُ؛ تصديقًا بخبرهِ وائتمارًا بأمرهِ، وانتهاءً عن نهيهِ، وائتمامًا به، حيثُما قادكَ انقدتَ معه، فتلاوةُ القُرآنِ تتناولُ تلاوةَ لفظهِ ومعناهُ، وتلاوةُ المعنىٰ أشرفُ من مجرَّد تلاوةِ اللفظِ، وأهلُها هم أهلُ القرآن الذين لهم الثناءُ في الدنيا والآخرة، فإنهم أهلُ تلاوةٍ ومتابعةٍ حقًّا»[1].

جاء هذا الكتاب ليرفع عنَّا قشرة الجهل بهذا الكتاب، لكي يكون هاديًا مع الهداة للدلالة علىٰ هذا الكتاب المجيد.

وقد جعلته في سؤال وجواب، اتِّباعًا لسنة جبريل عليه السلام، في سؤاله النَّبي ﷺ عن الإسلام والإيمان والإحسان، وإثارة للذهن، ودفعًا للسآمة والملل، وجاء مختصرًا موجزًا في عبارته، وتوخيت -قدر وسعي- أن تكون عبارته ميسرة ليصلح لعموم القراء.

---

(١) مفتاح دار السعادة، ابن القيم: (١/ ٢٠٢).

ولولا أن عنوان «الطريق إلىٰ القرآن» قد سبق به الحبيب الأستاذ إبراهيم السكران، وجعله عنوان كتابه، وهو من أجمل الكتب التي تحدثت عن القرآن = لجعلته عنوان كتابي، والذي أرجو أن يسهم في تقريب كثير من المفاهيم التي ينبغي معرفتها عن كتاب الله إلىٰ عموم الناس، مؤمنهم وكافرهم، كبيرهم وصغيرهم، ذكرهم وأنثاهم.

ولذا سميته: «الدليل إلىٰ القرآن»(١).

وقد قسمته إلىٰ ثمانية أقسام، وفي كل قسم عددٌ من الأسئلة، والأقسام هي:

أولًا: القرآن .. مصدريته .. وتاريخه.

ثانيًا: علوم القرآن.

ثالثًا: إعجاز القرآن.

رابعًا: التفسير .. التدبر .. التأثر.

خامسًا: حفظ القرآن .. وتجويده.

سادسًا: أحكام فقهية تتعلق بالقرآن المجيد.

سابعًا: كتب الدراسات القرآنية.

ثامنًا: أفياء .. منشورات قرآنية.

---

(١) يقال: دل علىٰ الشيء، ودل إليه، وعليه: فلا بأس من استخدام حرف الجر (إلىٰ) مع الفعل (دل)، إما علىٰ الجواز الأصلي، وإما علىٰ تضمينه معنىٰ (هدىٰ)، انظر: المصباح المنير: (١/ ١٩٩)، ومعجم الصواب اللغوي: (١/ ٣٦٧).

وقد انتفعت بتوجيهات من تفضل بقراءة الكتاب قبل طباعته، وهم عدد من أهل العلم والفضل، واستفدت كثيرًا من توجيهاتهم في تقويم الكتاب، وتصحيح ما وقع فيهم، فلهم جميعًا أهدي ثمرة مجهودهم، وشكر الله لهم، وجزاهم خيرًا، وجعلنا وإياهم من المشتركين في الأجر، ومن المتنعمين بنور الكتاب.

وأسأل الله أن يقربنا من كتابه، وأن يجعله ربيع قلوبنا، وأن ينفع بهذا الكتاب، وأن يجعله محققًا للرغبة التي بعثتني علىٰ كتابته، وأن يجد قارئه ما يمكن أن يكون قد مر علىٰ خاطره، وسأل عنه حول القرآن وما يتعلق به، **وإني لأرجو ممن قرأه ألا يبخل علي بنصح إن رآه، فإنَّ النصيحة من الدين**، وإني لها -إن شاء الله- لممتثل، وأرجو من أهل العلم أن يسامحوا ما وقع فيه من خلل، فإنه لغيرهم، ومثل هذا يعفىٰ عنه إن شاء الله، وإني بنصحهم مسترشد، والحمد لله رب العالمين[1].

عمرو الشرقاوي

(١) لم أثبت شيئًا من مراجع الكتاب، لطبيعته، وأهم مراجع الكتاب التي رجعت لها:
١- المقدمات الأساسية في علوم القرآن، د. عبدالله الجديع، ط. مؤسسة الريان.
٢- مدخل إلىٰ التعريف بالمصحف الشريف، د. حازم حيدر، ط. معهد الإمام الشاطبي.
٣- المحرر في علوم القرآن، د. مساعد الطيار، ط. معهد الإمام الشاطبي.
٤- محاضرات في علوم القرآن، د. غانم قدوري، ط. دار عمار.
٥- مناهل العرفان، العلَّامة الزرقاني، ط. إحياء الكتب العربية.

أولًا:

القرآن .. مصدريته .. وتاريخه

﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾

[الشُّعَرَاءِ: ١٩٢-١٩٥]

ما القُرآن؟

إنَّ أنسب ما نتعرف به علىٰ القرآن هو القرآن نفسه، وقد أخبرنا المتكلم بالقرآن سبحانه وبحمده أنَّه كلام الله، وأخبر أنَّه نزل بواسطة أمين الوحي جبريل، علىٰ قلب محمد ﷺ، بلسان عربي مبينٍ واضح لا لبس فيه، يقول الله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ﴾ [الشعراء: ١٩٤-١٩٥].

وكان وقت ابتداء نزوله ليلةَ القَدْر من شهر رمضان، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾ [القدر: ١]، وقال: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ﴾ [البقرة: ١٨٥].

ولم ينزل القرآن في وقت واحد، وإنَّما نزل مفرقًا، كما قال تعالىٰ: ﴿وَبِٱلۡحَقِّ أَنزَلۡنَٰهُ وَبِٱلۡحَقِّ نَزَلَۗ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿١٠٥﴾ وَقُرۡءَانٗا فَرَقۡنَٰهُ لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٖ وَنَزَّلۡنَٰهُ تَنزِيلٗا﴾ [الإسراء: ١٠٥-١٠٦]، وقال: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا﴾ [الفرقان: ٣٢].

وقد شدَّدَ القرآن علىٰ كونه ليس من كلام البشر، بل هو كلام خالق البشر، ورد علىٰ الشبهات التي تزعم أنه من قول البشر، فالقرآن **كلام الله**، **لا تدخل لأحد من البشر فيه**، حتىٰ ولو كان هذا التدخل من قبل محمد ﷺ، يقول الله

تـعـالـىٰ: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَـٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الحاقة: ٥٢].

وأخبر القرآن عن حال النَّبي ﷺ حين يتنزل عليه القرآن، فقال تعالىٰ: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَـٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٦-١٩]، وعن ابن عباس رضي الله عنهما، في قوله: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾ [القيامة: ١٦]، قال: «كان النَّبي ﷺ يُعالِج من التنزيل شدة كان يحرك شفتيه»، فقال ابن عباس: «أنا أحركهما كما كان رسول الله ﷺ يحركهما» فقال سعيد: «أنا أحركهما كما كان ابن عباس يحركهما فحرك شفتيه» فأنزل الله تعالىٰ: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٦-١٧] قال: جمعه في صدرك ثم تقرؤه ﴿فَإِذَا قَرَأْنَـٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٨] قال: فاستمع وأنصت، ثم إنَّ علينا أن تقرأه قال: «فكان رسول الله ﷺ إذا أتاه جبريل استمع، فإذا انطلق جبريل قرأه النَّبي ﷺ كما أقرأه» [رواه البخاري: (٥)، ومسلم: (٤٤٨)، واللفظ له].

وقد حُصِرَت دعوة النَّبي ﷺ في تلاوة الكتاب، يقول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَـٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾ [النمل: ٩١-٩٢].

وقد جُعِلَت تلاوة الكتاب تجارةً رابحة، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرۡجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ﴾ [فَاطِر: ٢٩].

وهذا القرآن لا ريب فيه، فالشك لا يتطرق إليه بأي وجه من الوجوه، فلا ريبَ في أخباره، ولا ريبَ في أحكامه، فأخباره الصدق، وأحكامه العدل، قال الله: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ﴾ [البَقَرَة: ٢].

والقرآن هو النور الذي أنزله الله ليُخرِجَ الناس من الظلمات بإذن ربهم إلىٰ صراط مستقيم، قال الله تعالىٰ: ﴿قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ١٥ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [المَائِدَة: ١٥-١٦].

والقرآن هو الموعظة، والشفاء، كما قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ٥٧ قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ﴾ [يُونُس: ٥٧-٥٨]، ومن تمسك بهذا القرآن فإنه **المبصر** حقًّا، لأن القرآن بصائر، قال تعالىٰ: ﴿قَدۡ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَنۡ أَبۡصَرَ فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ عَمِيَ فَعَلَيۡهَاۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ﴾ [الأَنۡعَام: ١٠٤]، وقال: ﴿وَإِذَا لَمۡ تَأۡتِهِم بِـَٔايَةٖ قَالُواْ لَوۡلَا ٱجۡتَبَيۡتَهَاۚ قُلۡ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّيۚ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمۡ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأَعۡرَاف: ٢٠٣]، فللقلب بصيرة هي نوره لا يصل إليها المرء إلا بالقرآن، وإلا فالعمىٰ لازم له، **وبقدر الإقبال علىٰ الكتاب يكون الأخذُ من نوره، والتبصر ببصائره**، وكما أن العين لا تبصر إلا بنور قدامها، فكذلك القلب لا يبصر إلا بنور القرآن!

وأخبر القرآن عن حال أهل الإيمان حين تلاوته، فقال: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ [الزُّمَر: ٢٣].

القرآن هو: الفرقان، والكتاب، والذكر، والتنزيل، والقرآن: حق وصدق، وعزيز، وعظيم، وعلي، ومجيد، وقبل ذلك: إنَّه وحي!

والقرآن: رحمة، وشفاء، وكريم، ومبارك، ونور.

إنَّه النبأ العظيم!

وأدعوك في ختام هذا الجواب، أن تختم القرآن -ولو ختمة واحدة- لتتعرف عليه حق التعرف.

ما الحجج الدالة على أن القرآن كلام الله؟

يعبَّر عن هذه المسألة، بتعبير آخر، هو: «مصدرية القرآن»، وقد أخبر القرآن عن مصدره، كما سبق في السؤال الماضي، لكننا سننطلق في الإجابة عن هذا السؤال، بذكر الحجج التي نصل بها للإيمان بأن الله تعالىٰ هو مصدر هذا الكتاب المجيد.

وقد لخَّصنا هذه الحجج من كتاب ممتع للعَلَّامة د. محمد دراز (ت: ١٣٧٧)، وهو بعنوان: «النبأ العظيم».

الحجة الأولىٰ: الإقرار.

لقد أقر النَّبي ﷺ علىٰ نفسه أنَّ القرآن الذي جاء به ليس من كلامه، وإنَّما هو وحي من ربه إليه.

وحجية هذا الإقرار: أنَّ القرآن حجَّ العرب، وعجزوا أمامه، فالمصلحة تقتضي أن ينسب محمد ﷺ القرآن له، لتروج زعامته، ويرتفع قدره عند هؤلاء القوم، ولم يفعل، وحاشاه أن يفعل!

وإنما لم يفعل؛ لأنَّه صادق أمين، ولم يكن ليدع الكذب علىٰ الناس ويكذب علىٰ الله.

فإن قال قائل: إنَّه لم يفعل ذلك إلا ليستجلب مزيدًا من الأتباع بنسبة هذا الكلام للرب، ويستدعي لنفسه طاعة وسلطانًا.

فنقول: هذا الكلام فاسد من جهتين:

الجهة الأولىٰ:

أنَّ محمدًا عليه الصلاة والسلام قد صدر عنه الكلام الذي نسبه لنفسه، والكلام الذي نسبه لربه، وأوجب القرآن علىٰ الناس طاعة محمد ﷺ، وجعل طاعته من طاعة الله تعالىٰ، فهلَّا جعل كل أقواله من كلام الله كما يقول هذا القائل.

الجهة الثانية:

أنَّ هذا الكلام مبني علىٰ افتراض باطل، هو: أن يكون محمد ﷺ قد سوَّغ لنفسه أن يصل إلىٰ مقصده، ولو بالكذب والتمويه.

وهذا باطل؛ لأن سيرةَ محمد ﷺ، وأحوالَه تأبىٰ ذلك.

فإنَّ صفاته وشمائله قبل النبوة وبعدها، تأبىٰ أن يكون كاذبًا، فقد كان أعداؤه قبل أصحابه يشهدون له بالصدق، والأمانة، ولم يقل أحد منهم قط: إنَّه كاذب.

الحجة الثانية: أُمِّيةُ النَّبي ﷺ.

لم يكن النَّبي ﷺ ممن يرجع بنفسه لكتب العلم، ودواوينه، ومن المتَّفق عليه؛ أنَّه ﷺ لم يكن يمارس القراءة والكتابة قبل بعثته.

ولا يمكن أن يكون القرآن من استنباط النَّبي ﷺ بالذكاء الفطري الذي كان يتمتع به؛ لأنَّ القرآن قد احتوىٰ علىٰ ما لا يمكن أن يستنبط بالعقل ولا بالتفكير،

وفيه أيضًا ما لا يدرك بالوجدان ولا بالشعور، كالوقائع التاريخية، والحقائق الدينية الغيبية، والتي جاءت في القرآن بصورة مفصلة، والإخبار بالأمور المستقبلية، والتي وقعت كما أخبر.

الحجة الثالثة: أنَّه لم يأخذ القرآن عن معلم.

لا يمكن أن يكون القرآن قد أُخِذَ عن معلم، لأنَّ قوم النَّبي ﷺ كانوا من الجهل بحيث لا يمكن أن يكون أحدهم معلمًا لمحمد ﷺ، ولو فرضنا أن فيهم من يصلح لذلك، فلم لم يأخذوا عنه كما أخذ محمد ﷺ بدلًا من مقارعته بالسيوف؟!

ومن المستحيل أن يكون القرآن قد أُخِذَ عن اليهود والنصارىٰ، ولينظر قائل تلك المقالة إلىٰ حديث القرآن عن أهل الكتاب، وذكره لهم، وكيف يصوِّر القرآن علومهم بأنها الجهالات، وعقائدهم بأنها الخرافات، وأعمالهم بأنها الجرائم والمنكرات.

وفي القرآن ما لا يوجد في كتب أهل الكتاب، كقصة هود وشعيب عليهما السلام، فمن أين أتىٰ بها؟!

ولا يمكن أن يكون القرآن قد أُخِذَ عن شعر بعض العرب، كأمية بن أبي الصلت وغيره، لأن القرآن نفىٰ أن يكون شعرًا، ولأن في الشعر ما لا يوجد في القرآن، كوصف الخمر، ونحوها، ولأن العرب لم يدَّعِ أحدٌ منهم أن القرآن مسروق أو منحول من الشعر الموجود في ذلك العصر أيًّا كان قائله.

الحجة الرابعة: التَّحدِّي وعجز العرب.

لقد تحدىٰ القرآن العرب، وكرر التحدي عليهم أن يأتوا بمثل القرآن، وظل يتدرج بهم إلىٰ أن وصل أن يأتوا بسورة من مثل القرآن، فعجزوا.

فإن كان القرآن من كلام محمد ﷺ، فلم عجزت العرب عنه؟!

إنَّ أحدًا منهم لم يستطع أن يجاريه، ولا أن يطعن في عربيته، ولذا: **فإن أي طعن يوجه للقرآن من جهة عربيته من طاعن متأخر عن أبي جهل، وأبي لهب وأضرابهم، فاعلم أنه باطل في ذاته؛ إذ لو كان صحيحًا لما غفل عنه هؤلاء الأعداء، وهم أبصر الناس باللغة، وأحرصهم علىٰ الطعن في القرآن.**

الحجة الخامسة: ظاهرة الوحي.

لم يكن الوحي حالة اختيارية تعتري محمدًا ﷺ، بل كان حالة غير اختيارية، وهذا -لمن يؤمن بالغيب- دليل علىٰ كون القرآن من عند الله، فقوة الوحي قوة خارجية، لأنها تتصل بنفس محمد ﷺ حينًا بعد حين، وهي قوة عالمة، وهي قوة أعلىٰ من قوته، لأنها تحدث آثارًا في بدنه، وهي قوة خيرة معصومة، لا توحي إليه إلا الحق، فماذا عسىٰ أن تكون تلك القوة إن لم تكن قوة ملك كريم؟!

ولم يكن الوحي يعكس شخصية الرسول ﷺ، ففي أكثر الأوقات لا يذكر عنه شيئًا، وتأمَّل -مثلًا-: حين مات عمه أبو طالب، وزوجته خديجة، وحزن لذلك حزنًا شديدًا، ومع ذلك لم يشر الوحي إلىٰ ذلك.

بل نجد في الوحي آيات اللوم والعتاب له عليه الصلاة والسلام، كقوله سبحانه: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَـٰذِبِينَ﴾ [التوبة: ٤٣]، وقال سبحانه: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ﴿٤﴾ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ﴿٥﴾ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشَىٰ ﴿٩﴾ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ﴾ [عبس: ١-١٠].

الحجة السادسة: إعجاز القرآن.

لقد جاء القرآن نموذجًا لا يبارىٰ في الأدب العربي، إنَّه المثل الأعلىٰ لما يمكن أن يسمىٰ أدبًا بوجه عام، فلغته تأخذ بالقلوب، وتفحم بالحجة، وتجلب السرور الهادئ لا الصاخب.

ومما يبين إعجاز القرآن في لغته:

١- أنَّ لغة القرآن مادة صوتية، تبعد عن طراوة لغة أهل الحضر، وخشونة لغة أهل البادية، إنها تجمع بين رقة الأولىٰ، وجزالة الثانية.

٢- إنَّها ترتيب في مقاطع الكلمات في نظام أكثر تماسكًا من النثر، وأقل نظمًا من الشعر.

٣-كلماته منتقاة، لا توصف بالغريب إلا نادرًا، تمتاز بالإيجاز العجيب، والنقاء في التعبير.

٤- إنَّ أسلوب القرآن يجمع بين العقل والعاطفة علىٰ رغم ما بينهما من تباعد.

٥- وهو في وحدة سوره، وترتيبها، وتناسق أجزائها آية وأي آية!.

*** مراجع إثرائية:**

١- النبأ العظيم، د. محمد دراز، اعتناء: عمرو الشرقاوي، ط. مركز تفكر للبحوث والدراسات.

٢- تنزيه القرآن الكريم، د. منقذ السقار، ط. مركز تكوين.

٣- براهين النبوة، د. سامي عامري، ط. مركز تكوين.

ما مبررات وبراهين الإيمان
بسلامة النص القرآني من التحريف؟

لقد اتفقت كلمة المسلمين جميعًا علىٰ أن القرآن كلام الله، وحجة من أعظم حججه علىٰ عباده، وأبلغها دلالة، ومن أكبر الحجج علىٰ صحة النص القرآني الموجود بين أيدينا:

الحجة الأولىٰ: العناية بالقرآن في عهد النَّبي ﷺ، وعهد الصحابة.

تمثلت العناية القصوىٰ بالقرآن في عهد النَّبي ﷺ في حفظ القرآن في قلوب الراسخين في العلم من أصحاب النَّبي ﷺ، وتدوينهم له، وتلاوتهم له آناء الليل وأطراف النهار.

ولما دعت الحاجة -وهي كثرة قتل القراء في موقعة اليمَامَة- كان الجمع الأول للقرآن في عهد أبي بكر رضي الله عنه.

وبعد جمع أبي بكر، بات القرآن الكريم محفوظًا في مصحف أبي بكر بين دفتين، وعدة صحف ومصاحف خاصَّة تجمع سوره وآياته كلها أو بعضها.

فأمَّا مصحف أبي بكر فقد انتقل من أبي بكر لعمر بن الخطاب، ومنه إلىٰ بيت حفصة أم المؤمنين رضي الله عنها.

ثم دعت الحاجة إلىٰ جعل هذا المكتوب في مصاحف علىٰ صورة تسد باب اختلاف الذين لا يعلمون، فتمَّ جمعه والعناية الفائقة به في عهد عثمان رضي الله عنه.

وبعد ذلك حصلت عمليات تطوير خط المصحف الشريف، وظلت هذه المحاولات، وهذه الحياطة إلىٰ زمان الطِّباعة، وانتِشَار المصاحف عبر الأقطَار الإسلامية، وانتقالها إلىٰ المسلمين جيلًا بعد جيل.

وليس في القرآن بحمد الله خطأ استطاع أن يثبته أحدٌ كائنًا من كان من وقت تدوينه إلىٰ زمان الناس، وما أُثير من شبهات حول الرسم، أو ما ادُّعي أنه مخالف للعربية، تصدىٰ له علماء الإسلام بالبيان، والتمحيص، ومصنفاتهم حاضرة قريبة من طالبِ الحق والهدىٰ.

الحجة الثانية: تَلَقِّي القرآن بالمشافهة.

لقد كان القرآن محفوظًا في الصدور كما هو مكتوب في الصحف، وكان الناس ولا يزالون يتلقون هذا القرآن عن أشياخهم، إلىٰ أن يتصل السند بكبار أصحاب النَّبي ﷺ، وهؤلاء الصحابة أخذوه عن رسول الله ﷺ.

وهذه الحجة مما يعرف تفصيلها من كتب تاريخ القراءات، وبيان جهود العلماء المبذولة في ضبط الأوجه القرآنية التي يقرأ بها القرآن.

فمن الذي يتصور وقوع التحريف في سورة الحمد (الفاتحة)؟ وهي السورة التي تقرأ في محاريب المسلمين كل يوم عدة مرات، وكذلك سائر القرآن كان يُقرأ في محاريب المسلمين مرة بعد مرة، أيتفق كل هؤلاء علىٰ التحريف، ولا نجد إنكارًا عليهم، سبحانك هذا بهتان عظيم!

الحجة الثالثة: عدم وجود فجوة تاريخية في مسار القرآن.

وهذا بخلاف التوراة التي انقطع سندها بعد موسىٰ عليه السلام بستة قرونٍ علىٰ الأقل، وتعددت نسخها، واختلفت فيما بينها، وبخلاف الإنجيل الذي ظل يُتناقل شفهيًا، وتعرض لكثير من التَّحريف حتىٰ دوِّن متأخرًا بعد أن ناله ما ناله من التَّحريف.

لقد وصل القرآن إلينا، بلغته الأصلية التي كان عليها، فلم يتعرض لما قد تتعرض له الترجمة، من اختلاف، وكونها عرضة للاشتباه في الفهم، ونحو ذلك.

وقد نقل إلينا بالمشافهة، وتداوله عددٌ كبير من الناس، ودون في زمان النَّبي ﷺ، وجمع بعده في دفتين بعد مدة وجيزة جدًّا، كما سلف، وإنَّ المطلع علىٰ المخطوطات الموجودة للمصحف الشريف، والتي هي عتيقة، وترجِع إلىٰ العصور الأولىٰ من نزول القرآن، يعلم كيف أن الله تعالىٰ قد أحاط القرآن بعناية خاصَّة، لئلا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، لأنه تنزيل من حكيمٍ حميد.

ومع كل العواصف التي عصفت بأمة الإسلام إلا أنَّ أحدًا منهم لم تمتد يده للقرآن ليحرفه، بل ولم يستطع، وأنَّىٰ له ذلك، بل إنهم علىٰ اختلافهم وتناحرهم كانوا معظمين للقرآن معتنين بشأنه، كما يعرف من تاريخ كتابة المصحف والعناية به.

وبعد؛ **فإنَّ أعظم دليل علىٰ عدم تحريف القرآن، هو القرآن ذاته، فقد احتفظ القرآن بكل خصائصه التي كان عليها زمان النبوة، لقد ظل مُؤثرًا في الأمة، ومعجزًا علىٰ مر الدهور، لا يزال الناس يأخذون منه، وَيَرِدُونَه فلا تنفد عجائبه، ولا يَخْلَقُ علىٰ كثرة الرد.**

*** مراجع إثرائية:**

١- مدخل إلىٰ القرآن الكريم، د. محمد دراز، ط. دار القلم.

٢- تاريخ القرآن عند الشيعة الاثنىٰ عشرية، د. عبدالعزيز الضامر، ط. مركز تكوين.

٣- موثوقية نقل القرآن، د. عبدالله موسىٰ رمضان، ط. مكتبة التوعية.

٤- المصاحف المنسوبة للصحابة، د. محمد الطاسان، ط. دار التدمرية.

٥- رسم المصحف، د. غانم قدوري الحمد، ط. دار عمار.

ما المراد بكلمة (الوحي)؟

الوحي المقصود هنا: هو القرآن، **فالقرآن هو الوحي الذي أنزله الله بواسطة جبريل** عليه السلام **علىٰ قلب محمد** ﷺ، كما قال تعالىٰ: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ [يوسف: ٣]، وقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ﴾ [الشورى: ٧]، وقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢].

ويطلق الوحي في اللغة علىٰ: «الإعلام في خفاءٍ وسرعةٍ»، وهو بهذا المفهوم يشمل الوحي العام، والوحي الخاص.

فالوحي قسمان: عام، وخاص.

القسم الأول: الوحي العام.

فالوحي العام يشمل: الإشارة، والإيماء، والإلهام، ويشمل أيضًا ما إذا كان الإعلام من الخير أو الشر.

فمن أنواع الوحي العام:

١- الإلهام، والمقصود به: الإلهام الفطري.

ومنه: ما وقع لأم موسىٰ عليه السلام، قال تعالىٰ: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: ٧].

ومنه: ما حصل للحواريين (أصحاب عيسىٰ عليه السلام)، كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾ [المائدة: ١١١].

وقد يقع الإلهام لبعض المخلوقات، كما أخبر الله عن النحل، قائلًا: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ [النحل: ٦٨].

٢- ما يلقيه الله تعالىٰ لملائكته، قال تعالىٰ: ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [الأنفال: ١٢].

٣- ويطلق الوحي بهذا المفهوم العام علىٰ فعل بعض المخلوقين، كما قال سبحانه عن زكريا عليه السلام، ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم: ١١]، فالمعنىٰ: أشار إليهم أن يُسَبِّحوا الله بكرة وعشيًا.

٤- ويطلق الوحي بهذا المفهوم العام علىٰ ما يلقيه الشياطين إلىٰ أوليائهم، قال تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ١١٢].

القسم الثاني: الوحي بالمفهوم الشرعي.

أما الوحي بالمفهوم الشرعي، فيطلق علىٰ «إعلام الله لنبي من أنبيائه، بكيفيَّة معينةٍ، بنبوته، وما يتبعها من أوامرَ ونواهٍ وأخبار».

وهذا الوحي بالمفهوم الشرعي له أنواع متعددة، ذكر الله تعالىٰ أعلاها في قوله: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ﴾ [الشورىٰ: ٥١].

هذه مقاماتُ الوحي بالنسبة إلىٰ جناب الله ﷻ:

١- فتارةً يُقذف في روع النَّبي ﷺ شيءٌ لا يتمارىٰ فيه أنه من الله ﷻ، وهذا يقع يقظة ومنامًا.

٢- وتارةً يقع بتكليم الله ﷻ مباشرة من وراء حجاب، كما حصل لموسىٰ عليه السلام.

٣- وتارةً يقع بتكليم المَلَك، وبهذه الطريقة وقع نزول القرآن، فقد نزل به جبريل عليه السلام.

كيف كانت حال
النَّبي ﷺ عند نزول الوحي؟

ورد ذلك في بعض الأحاديث، والتي وصفت حال النَّبي ﷺ حين ينزل عليه الوحي، ومن هذه الأحاديث:

١- عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، أن الحارث بن هشام رضي الله عنه سأل رسول الله ﷺ فقال: «يا رسول الله، كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله ﷺ: «أحيانًا يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشده علي، فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال، وأحيانًا يتمثل لي الملك رجلًا فيكلمني فأعِي ما يقول» قالت عائشة رضي الله عنها: **ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد، فيَفصِم عنه وإنَّ جبينه ليتفصد عرقًا**»، [رواه البخاري: (٢)].

[(صلصلة) هي صوت الحديد إذا حرك وتطلق علىٰ كل صوت له طنين. والمشبه هنا صوت الملك بالوحي. (فيفصم) يُقْلِع، ويذهب. (وعيت) فهمت وحفظت. (لَيتَفَصَّد) يسيل، مبالغة من كثرة عرقه].

٢- عن ابن عباس في قوله تعالىٰ: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾ [القِيَامَة: ١٦] قال: «كان رسول الله ﷺ يعالِجُ من التَّنزيل شدة، وكان ممَّا يحرك شفتيه -فقال ابن عباس: فأنا أحركهما لكم كما كان رسول الله ﷺ يحركهما،

وقال سعيد: أنا أحركهما كما رأيت ابن عباس يحركهما، فحرَّك شفتيه- فأنزل الله تعالىٰ: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾ [القِيَامَة: ١٦-١٧] قال: جمعه لك في صدرك وتقرؤه: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ [القِيَامَة: ١٨] قال: فاستمع له وأنصت: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ [القِيَامَة: ١٩] ثم إنَّ علينا أن تقرأه، فكان رسول الله ﷺ بعد ذلك إذا أتاه جبريل استمع فإذا انطلق جبريل قرأه النَّبي ﷺ كما قرأه»، [رواه البخاري: (٥)].

[يعالج من التنزيل شدة: يتكلف ويتحمل من تنزيل القرآن عليه شِدَّة، وسبب الشِّدَّة: هيبة الملك، وما جاء به، وثقل الوحي].

صف لحظة نزول القرآن.

ورد ذلك في حديث السيدة عائشة رضي الله عنها، ولأدعك مع الحديث الجليل، لتتأمله جيدًا:

عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت: «أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرىٰ رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه -وهو التعبد- الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلىٰ أهله، ويتزود لذلك، ثم يرجع إلىٰ خديجة فيتزود لمثلها، حتىٰ جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال: اقرأ، قال: «ما أنا بقارئ»، قال: (**فأخذني فغطني حتىٰ بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثانية حتىٰ بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني، فقال:** ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العَلَق: ١-٥]).

فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده، فدخل علىٰ خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، فقال: «زملوني زملوني» فزملوه حتىٰ ذهب عنه الروع، فقال لخديجة وأخبرها الخبر: «لقد خشيت علىٰ نفسي» فقالت خديجة: كلا والله ما

يخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين علىٰ نوائب الحق، فانطلقت به خديجة حتىٰ أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزىٰ ابن عم خديجة وكان امرأ تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخًا كبيرًا قد عمي، فقالت له خديجة: يا ابن عم، اسمع من ابن أخيك، فقال له ورقة: يا ابن أخي ماذا ترىٰ؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأىٰ، فقال له ورقة: هذا الناموس الذي نزل الله علىٰ موسىٰ، يا ليتني فيها جذعًا، ليتني أكون حيًّا إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله ﷺ: «أو مخرجي هم»، قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا.

ثم لم ينشب ورقة أن توفي، وفتر الوحي ﷺ، [رواه البخاري: (٣)].

[غطّني، أي: ضمه بشدة].

هل نزل القرآن جملة واحدة
أم نزل مفرقًا، وما فائدة تفريقه؟

نزل القرآن علىٰ النَّبي ﷺ مدة ثلاثٍ وعشرين سنة، وهي مدة بعثته ﷺ، قال ﷻ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا﴾ [الفرقان: ٣٢].

وأما عن فوائد هذا النزول المنجم (أي: المفرق)، فمنها:

١- **تثبيت قلب النَّبي ﷺ**، ولقد كان تأخر الوحي عن رسول الله يقلقه كثيرًا، محبة منه لكلام ربه سبحانه وبحمده.

٢- مواكبة الحوادث والمسائل التي تقع في عصر النبوة، إذ كان القرآن ينزل بشأنها؛ تلك الحوادث والمسائل هي أسباب النزول التي صارت علمًا مُهمًّا لمن أراد أن يفسِّر القرآن.

٣- التَّدرج في التشريع وبيان الأحكام والحدود، فالشريعة لم تنزل جملة واحدة علىٰ رسول الله ﷺ، بل كان ينزل منها الشيء بعد الشيء من تفاصيل الأحكام والحدود حتىٰ اكتملت الشريعة وتم الدين.

ما أول ما نزل من القرآن؟

أوَّلُ ما نزل من القرآن سورة (اقرأ)، ففي حديث عائشة أم المؤمنين أنها أخبرت عن أول مجيء جبريل عليه السلام للنبي ﷺ وهو في غار حراء، قالت: «حتىٰ جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال: اقرأ، قال: «ما أنا بقارئ»، قال: فأخذني فغطني حتىٰ بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثانية حتىٰ بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني، فقال: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العَلَق: ١-٥]» [رواه البخاري: (٣)].

وهذا صريح **أنَّ أولَ نزول للقرآن كان في غار حراء، وأنَّ أولَ ما نزل منه هذه الآيات الخمس من أولِ سورة العلق.**

ثم حصل فتور للوحي [أي: انقطاع للوحي فترة من الزمان، وقد اختلف العلماء في تحديد مدة هذه الفترة]، ونزل بعد هذا الفتور سورة المدثر.

ما آخر ما نزل من القرآن؟

ليس في هذه المسألة حَسمٌ، ولعل أصَحَّ ما قيل فيها: إنَّ آخر ما نزل من آيات القرآن هي آيات الربا في سورة البقرة، وآخرها قوله تعالىٰ: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البَقَرَة: ٢٨١].

أما آخر سورة نزلت، فلعل أصح ما قيل في هذا أيضًا: إنها **سورة النصر**.

ما المراد بالقراءات؟

القراءات هي: (علم بكيفية أداء كلمات القرآن، واختلافها معزوًا لناقله).

فأنت تسمع اليوم: قراءة ورش عن نافع، وقالون عن نافع، وحفص عن عاصم، وشعبة عن عاصم، والدوري، وحمزة . . إلىٰ آخره.

ولكي تتصور كيفية وجود هذه القراءات، فسنعرض إلىٰ تاريخ القراءات بصورة مختصرة جدًّا، فنقول:

نزل القرآن علىٰ النَّبي ﷺ بواسطة جبريل عليه السلام، فقد كان جبريل يأخذ القرآن عن رب العالمين تعالىٰ، وينزل به علىٰ قلب النَّبي ﷺ، وكان النَّبي ﷺ يُقرئ الصحابة، وقد أخذوا عنه القرآن، وصار القرآن يحمل عنهم بالتلقي.

وكان للعرب طرق مختلفة في كيفية أداء الحروف، فبعضهم كان يهمز، وبعضهم يترك الهمز، وبعضهم يقرأ بالإمالة، وبعضهم لا يميل، وهكذا.

وقد سمح النَّبي ﷺ أن يقرأ كل واحد فيهم، بطريقة قومه في أداء هذه الحروف.

ومع ذلك: فإنهم تلقوا بعض الكلمات عن النَّبي ﷺ بأوجه مختلفة، فمثلًا: كلمة (ضنين) في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ [التَّكوير: ٢٤]، قُرئت بالضاد، وقُرئَت بالظاء (بظنين)، وقد تلقاها الصحابة عن رسول الله ﷺ.

ومن هنا ظهرت الأوجه المختلفة في أداء كلمات القرآن الكريم، واختار كل صحابي لنفسه قراءة مما أخذه عن النبي ﷺ، ومما اجتهد فيه مما يجوز الاجتهاد فيه.

وفي تلك المرحلة، كان الصحابة يعلم بعضهم بعضًا القرآن، **ولما تم جمع عثمان رضي الله عنه، انتصب بعض الصحابة لإقراء القرآن، وصار الناس يرحلون من الأمصار للأخذ عنهم، والقراءة عليهم.**

وتشكلت في هذه المرحلة مسألة التلقي الشفوي للقرآن، بأن يرحل الطالب إلىٰ شيخ فيتلقىٰ عنه القرآن، وقد ظهر في ذلك الزمن أئمة صاروا أئمة الإقراء في زمانهم، ومثَّلت هذه القراءات اختيار هؤلاء القراء مما أخذوه، وتلقوه عن شيوخهم إلىٰ الصحابة رضوان الله عليهم، وكثرت الاختيارات وتنوعت.

وكانت هذه الفترة تمهيدًا للمرحلة التي بعدها، وهي فترة التدوين لروايات القراءات مع توفرها وبروزها ووضوحها وكثرتها.

وفي مرحلة من تلك المراحل اختار الإمام أبو بكر ابن مجاهد (ت: ٣٢٤)، سبعة قراء من قراء الأمصار الإسلامية الكبرىٰ، اشتهروا بالضبط والإتقان، ورجوع الناس إليهم في القراءة، وجمَعَ اختياراتهم في كتابه: «السبعة في القراءات»، وهم: «نافع المدني، وابن كثير المكي، وأبو عمرو بن العلاء البصري، وابن عامر الشامي، وعاصم الكوفي، وحمزة بن حبيب الزيات

الكوفي، وعلي الكسائي الكوفي»، وصار يطلق علىٰ قراءة هؤلاء: **القراءات السبع**.

وقد اختار العلماء لكل قارئ من هؤلاء القراء اثنين ممن أخذوا عنه القراءة، فاختاروا لعاصم -مثلًا- راويين، هما: أبو بكر بن عياش شعبة، وحفص بن سليمان، ولنافع: قالون، وورشًا، وهكذا.

وألفت كتب في قراءة هؤلاء السبعة، أشهرها: كتاب: «التيسير» لأبي عمرو الداني (ت: ٤٤٤)، ونظمه للإمام الشاطبي (ت: ٥٩٠).

وبعد هذه المرحلة، ألف العلماء كتبًا كثيرة في القراءات، وصار بعضهم يزيد علىٰ هذه القراءات السبع، لئلا يظن الناس أن القراءات السبع هي الأحرف السبعة.

وصار العلماء يحررون هذه القراءات، ويعتنون بأمرها، حتىٰ وصلت إلىٰ إمام عظيم القدر، وهو الإمام ابن الجزري رحمه الله (ت: ٨٣٣)، فألف كتابه العظيم: «**النشر في القراءات العشر**»، وزاد علىٰ هؤلاء الأئمة السبعة، ثلاثة هم: «أبو جعفر بن يزيد القعقاع، ويعقوب الحضرمي، وخلف البزار».

وكانت قراءات الأئمة العشرة منتشرة في الأمصار الإسلامية، يقرأ أهل كلِّ مصر وما حوله بقراءة إمامهم، واستمر الحال علىٰ ذلك قرونًا، وذكر الداني أنَّ إمام الجامع الكبير في البصرة لا يقرأ إلَّا بقراءة يعقوب، **وكان أهل مصر يقرؤون برواية ورش حتىٰ القرن الخامس الهجري، ثم انتشرت بينهم قراءة أبي عمرو البصري.**

ويبدو أنَّ الأمر استمر علىٰ هذا الحال زمنًا بعد ذلك، حتىٰ امتد حكم الدولة العثمانية للبلاد العربية في القرن العاشر الهجري، فانتشرت رواية حفص

عن عاصم في معظم العالم الإسلامي منذ ذلك الوقت بسبب اعتماد الدولة العثمانية لها، ثم طباعة المصحف بها، وازدادت انتشارًا في زماننا هذا بسبب كثرة المصاحف المطبوعة بها، وانتشار التسجيلات بها، وعبر الإذاعات ووسائل الإعلام المتعددة فرواية حفص عن عاصم يقرأ بها معظم المسلمين في الدول الإسلامية وغيرها.

ويُقْرَأُ برواية قالون عن نافع، في ليبيا وأجزاء من تونس والجزائر.

وبرواية ورش عن نافع في غرب مصر وليبيا وتونس والجزائر والمغرب وموريتانيا وتشاد والكاميرون ونيجيريا وأغلب البلاد الأفريقية الغربية، وفي شمال وغرب السودان.

ويقرأ برواية الدوري عن أبي عمرو في السودان والصومال، وحضر موت في اليمن.

أمَّا المصاحف فنظرًا لانتشار رواية حفص عن عاصم بين معظم المسلمين؛ فإنَّ غالبية المصاحف تُطبع وَفق روايته، وتأتي بعد ذلك المصاحف المطبوعة برواية ورش عن نافع، حيث طبعت في مجمع الملك فهد بالمدينة المنورة وفي بلاد المغرب العربي وسوريا وقطر، وطبعت مصاحف برواية قالون في ليبيا وتونس والجزائر، وبرواية الدوري في السودان والمدينة المنورة.

ويَلحظُ القارئ في هذه المصاحف وجود اختلافات يسيرة بينها في الضبط وفي الحركات المثبتة علىٰ الألفاظ المُختلَف فيها بين هذه الروايات، كما تختلِف هذه المصاحف في رسم بعض الألفاظ تبعًا للمذهب الذي رُسِم به المصحف، وتختلف في عدد آياتها حسب العدد المعتمَد لبلد القارئ.

مصطلحات مهمة متعلقة بالقراءات:

- (القراءة، والرواية، والطريق): يُقال: قراءة فلان إذا نُسبت لأحد القُرَّاء السبعة أو العشرة، أو غيرهم ممَّن تتوافر لقراءتهم شروط القبول كأن يُقال: قراءة نافع، أو قراءة ابن كثير، أو قراءة حمزة وهكذا.

وأمَّا الرواية: فهي التي تُنسب لأحد الرواة عن القارئ، كأن يُقال رواية حفص عن عاصم، أو رواية قالون عن نافع، أو رواية البَزِّي عن ابن كثير.

والطريق: يُطلق علىٰ ما ينسب للآخذ عن الراوي ولو نزل، كطريق الأزرق لرواية ورش عن نافع، أو طريق عبيد بن الصباح لرواية حفص عن عاصم.

فالقارئ: (نافع - عاصم)، والراوي: (ورش - حفص)، والطريق: (الأزرق - عبيد بن الصباح).

فالطَّبقة الأولىٰ، وهي طبقة الشيوخ اصطلحوا علىٰ تسميتهم: (القراء)، والطبقة الثانية، وهم التلاميذ اصطلحوا علىٰ تسميتهم: (الرواة)، والطبقة التي تحتها مهما نزلت اصطلحوا علىٰ تسميتهم: (الطرق).

- (الأصول): مسائل علم القراءات التي لها قاعدة معينة تندرج فيها الجزئيات، مثل: الإدغام، والمد، والإمالة، ونحوها، وقد يُخالف بعض القراء القاعدة في كلمات يسيرة.

- (الفَرْش): الألفاظ القرآنية التي اختلف فيها القراء، والتي لا تندرج ضمن قواعد ومسائل أصول القراءة، وسميت بالفرش لانتشارها وتفرقها في السور؛ فإنَّ فرش الشيء: نشره وبثه، مثل: كلمة (ضنين) في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ [التَّكوِير: ٢٤]، فقد قرأها بعض القراء (بظنين) بالظاء، ومثل كلمة (الصراط) فقد قرأها بعض القراء (السراط) بالسين.

*** مراجع إثرائية:**

١- مقدمات في علم القراءات، د. القضاة، د. أحمد خالد شكري، ط. دار عمار.

٢- الأساس في علم القراءات، د. علي الجعفري، ط. أروقة.

٣- القراءات القرآنية، د. عبدالحليم قابة، ط. دار طيبة الخضراء.

ما المراد بنزول القرآن على سبعة أحرف؟

لقد كان موضوع (الأحرف السبعة) ولا يزال من الموضوعات المُشكِلة في علوم القرآن، غير أنَّ كل الاختلاف فيها لا يؤثر علىٰ صحة نقل القرآن، وموثوقية وصوله إلينا.

وعلىٰ المؤمن أن يسلم بهذه الحقيقة؛ لأن اختلاف العلماء في مسألة الأحرف السبعة كبير، وقد لا يستوعبه عقل المبتدئ، لكن المهم: أن نُظهر عدة نقاط محكمات لا بد أن تكون في وعينا عند دراستنا لهذا الموضوع:

١- أنَّ هذه الأحرف نزلت من عند الله، وأنَّها نزلت للتخفيف علىٰ الأمة.

٢- أنَّ الصحابة فهموا معنىٰ الأحرف السبعة، وعملوا بمقتضىٰ فهمهم.

٣- أنَّ العدد «سبعة» يُقصد به العدد المعروف، وهو ما بين الستة والثمانية.

٤- أنَّ العلماء **اتفقوا علىٰ أن الأحرف السبعة ليست هي القراءات السبع،** لأن القراءات نشأَتْ بعد الأحرف السبعة ونزولها، وانتهاء نزول القرآن.

والقراءات كلها (السبعة، والعشرة، وما زاد عليها) هي جزءٌ من الأحرف السبعة.

٥- أنَّ **كل الاختلاف الحاصل في هذا الموضوع لا يؤثر علىٰ صحة النص القرآني**، لأنه محفوظ بحمد الله تعالىٰ، وقد تقدمت الأدلة علىٰ ذلك.

والاختلاف بين الأحرف السبعة هو اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد، **فلا تناقض بين معاني الأحرف السبعة علىٰ أي مذهب من مذاهب العلماء المفسرين لمعنىٰ الأحرف**.

أي: لا يوجد تعارض بين حرف وآخر من الأحرف السبعة علىٰ أي تفسير لها، كما أنَّه لا يوجد تعارض ولا تناقض بين القراءات القرآنية.

وقد اختلف العلماء في بيانها، ومن الأقوال القريبة، أنَّها: (وجوه قرائية منزلة، متعددة، متغايرة، في الكلمة القرآنية الواحدة ضمن نوع واحد من أنواع التغاير).

فاللفظ الواحد قد يحتمل عدة أوجه من القراءة، وهذه الأوجه لا يمكن أن تتعدىٰ في اللفظ الواحد سبعة أوجه، فقد يرد وجهان فقط في قراءة الحرف، مثل: (ننشرها - ننشزها).

وقد يرد اللفظ علىٰ أربعة أوجه، مثل: (فيضاعفَه - فيضاعفُه - فيضعِّفَه - فيضعِّفُه).

وقد يرد علىٰ خمسة أوجه، مثل: (هَيتَ لك - هَيتُ - هِيتَ - هِئتَ - هئتُ).

وهكذا، وليس عندنا لفظ يُقرأ علىٰ سبعة أوجه، وهذه الأوجه ترد في بعض الكلمات القرآنية، لا في كل كلمة من كلمات القرآن.

وقد وقع تركٌ لبعض الأوجه، فلم يعد يُقرأ بها.

*** مراجع إثرائية:**

١- قضية الجمع القرآني، أحمد سالم، ط. مركز تفكر للبحوث والدراسات.

٢- المحرر في علوم القرآن، د. مساعد الطيار، ط. معهد الإمام الشاطبي.

٣- معاني الأحرف السبعة، أبو الفضل الرازي، ت: د. حسن عتر، ط. دار النوادر.

٤- حديث الأحرف السبعة، د. عبدالعزيز القارئ، ط. مؤسسة الرسالة.

٥- الأساس في علم القراءات، علي الجعفري، أروقة.

متى جمُع القرآن، وما عدد مرات جمعه؟

اعلم أن القرآن لم يجمع بين دفتين زمن النَّبي ﷺ، مع أنه كان يكتب بين يديه؛ لأن الحاجة لم تدع إلىٰ ذلك، ولأن القرآن ما زال ينزل ويضاف إليه، وينسخ منه.

ولما دعت الحاجة -وهي كثرة موت القراء في موقعة اليمامة- كان الجمع الأول للقرآن في عهد أبي بكر رضي الله عنه، وقد قام بعملية الجمع زيد بن ثابت رضي الله عنه، وقد اتكأ زيد علىٰ الأساسين اللذين كانا قد جمع بهما القرآن زمن النَّبي ﷺ، وهما:

١- صُدور الرجال.

٢- الصُّحف المفرقة وما يشبهها من أدوات الكتابة.

ويمكننا تلخيص مميزات هذا الجمع في النقاط التالية:

(١) أن كتابته قامت علىٰ أدق وسائل التثبت والاستيثاق.

(٢) أنه جُمع في مصحف واحد مرتب الآيات والسور.

(٣) اقتصاره علىٰ ما لم تنسخ تلاوته، وتجريده مما ليس بقرآن.

(٤) إجماع الصحابة علىٰ صحته ودقته، وعلىٰ سلامته من الزيادة والنقصان، وتلقيهم له بالقبول والعناية.

وبعد أن تمَّ الجمع الأول، صارت الصحف إلىٰ أبي بكر، ثم إلىٰ عمر، ثم إلىٰ أم المؤمنين حفصة بنت عمر رضي الله عنهم أجمعين.

بعد ذلك: أصبح القرآن الكريم بعد الجمع الأول محفوظًا في مصاحف تجمع سوره وآياته كاملة بين دفتين، أحدها: مصحف أبي بكر الموجود في بيت حفصة أم المؤمنين رضي الله عنها، وقد كان نفر من الصحابة الذين حملوا القرآن عن النَّبي ﷺ يكتبون القرآن بأيديهم وفق ما سمعوه من النَّبي ﷺ، ونظرًا لنزول القرآن علىٰ سبعة أحرف فقد كان يقع أن يكون الذي مع صحابي منهم هو علىٰ حرف خلاف الذي مع صحابي آخر، ونظرًا إلىٰ أنه وقع في العرضة الأخيرة نسخٌ [والعرضة الأخيرة، هي: آخر مرة قرأ جبريل فيها القرآن علىٰ النبي ﷺ في رمضان]، ونظرًا إلىٰ أنَّه ليس كل واحد من أولئك الصحابة شهد تلك العرضة = فقد وقع أن اختلف صحابة النَّبي ﷺ في القرآن اختلافًا لا يخرج عن كونه اختلافًا في الأحرف التي تدور عليها آيات القرآن، وما يمكن أن يكون منها منسوخًا وما يمكن أن يكون منها محفوظًا، ولو بقي هذا الاختلاف في المحفوظ في الصدور يتداوله حملة القرآن عن أشياخهم = لهان الأمر، ولكان من جنس اختلاف الصحابة في الأحرف السبعة حتىٰ في زمان حياة النَّبي ﷺ، ولكنه تعدىٰ إلىٰ الذين ينظرون في الصحف لا يتبينون وجه هذه الكلمة المكتوبة في هذا المصحف ولِمَ تختلف صورتها باختلاف المصاحف، ولِمَ يوجد في مصحف ما لا يوجد في آخر؟

وهنا: مست الحاجة إلىٰ جعل هذا المكتوب علىٰ صورة تسد باب اختلاف الذين لا يعلمون، ولم يكن أمام عثمان ﷺ للقيام بهذه العملية التوحيدية أفضل من مصحف أبي بكر ﷺ، لذا فقد جعله أمامه، وقام باستنساخه.

وكانت أركان هذه العملية التوحيدية ثلاثة، وهي:

(١) أن تنسخ الصحف الأولىٰ التي جمعها زيد بن ثابت في عهد أبي بكر الصديق في مصاحف متعددة عبر منهج حدده عثمان ﷺ.

(٢) أن ترسل نسخة إلىٰ كل مصر من الأمصار؛ فتكون مرجعًا للناس منه يَقرَؤُون ويُقرِؤُون، وإليه يحتكمون عند الاختلاف، ومع كل نسخة قارئ يُقرئ الناس بها.

(٣) أن يحرق ماعدا هذه النسخ.

وقد تم هذا الجمع عبر لجنة مكونة من أربعة أشخاص، وهم: زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام.

وقد أجمع الصحابة علىٰ هذا الجمع العظيم، وقد قال علي ﷺ: «رحم الله عثمان، لو وليته؛ لفعلت ما فعل في المصاحف».

وقد وقع خلاف بين العلماء في عدد المصاحف، **والصحيح أنها ستة:** المصحف الذي استكتبه عثمان لنفسه، والمصحف المدني الذي كان عند زيد بن ثابت، والمصحف المكي، والمصحف الكوفي، والمصحف البصري، والمصحف الشامي، وهذه المصاحف هي التي نقل العلماء عنها، وحكوا ما فيها من الرسم، أمَّا ما عدا ذلك كالمصحف المنسوب للبحرين أو لليمن، فلم ينقل عنهما، مما يشير إلىٰ عدم وجودهما أصلًا.

الموضوع	الجمع في عهد أبي بكر	الجمع في عهد عثمان
سبب الجمع	كثرة قتل القراء	اختلاف الناس في القراءة
الذي أشار بالجمع	عمر بن الخطاب	حذيفة بن اليمان
لجنة الجمع	١- زيد بن ثابت. ٢- عمر بن الخطاب.	١- زيد بن ثابت الأنصاري. ٢- عبدالله بن الزبير. ٣- سعيد بن العاص. ٤- عبدالرحمن بن الحارث بن هشام. ٥- أبي بن كعب. وغيرهم.
مقصد الجمع	جمع القرآن بين دفتين	١- نسخ مصحف أبي بكر رضي الله عنه في عدد من المصاحف عبر منهج معين. ٢- إرسال قارئ مع كل نسخة ليُقرأ أهل المصر الذين أرسل إليهم.

الموضوع	الجمع في عهد أبي بكر	الجمع في عهد عثمان
منهج الجمع	١- الجمع من صدور الرجال. ٢- عرضه علىٰ المكتوب في زمان النَّبي ﷺ.	١- نسخ مصحف أبي بكر في عدد من المصاحف. ٢- أنَّ يكتب بلسان قريش عند الاختلاف. ٣- أنَّ يحرق ما عدا هذه المصاحف.
نتيجة الجمع	أجمع الصحابة عليه	أجمع الصحابة عليه

*** بيان موقف ابن مسعود رضي الله عنه من جمع القرآن.**

بداية لا بد من التنبيه إلىٰ أن ابن مسعود رضي الله عنه لم يعترض علىٰ نفس الجمع، ولم يعترض علىٰ المجموع، وإنما عرض له إشكال في طريقة الجمع في عهد عثمان رضي الله عنه.

ودليل ذلك: أنه لم يرد أن ابن مسعود اعترض علىٰ جمع أبي بكر رضي الله عنه.

فالحاصل: أنه قد ورد اعتراضه رضي الله عنه علىٰ جمع عثمان رضي الله عنه في عدَّة أمور، منها: أنه قد استُثْنِيَ من لجنة الجمع، وأنه لم يكن يثبت المعوذتين في مصحفه.

وإنما اختار عثمان زيدًا لأجل أنه هو المختار في الجمع الأول، ولاختصاصه عن ابن مسعود بالكتابة واشتهاره، بينما اشتهر عبدالله بالإقراء والقراءة، وفعل عثمان رضي الله عنه متعلق بالرسم، وليس بالقراءة، فإن عثمان رضي الله عنه لم يمنع أحدًا من القراءة، ولم يفرض علىٰ أحدٍ من الصحابة قراءة بعينها دون أخرىٰ.

كما كان ابن مسعود في ذلك الوقت كبير السن، بينما كان زيد في شبابه، ومثل هذا يجعله أقدر علىٰ حمل أعباء تلك المهمة، مع اعتبارات أخرىٰ.

وقد ثبت عن ابن مسعود أنه تمسك بقراءته لا غير، وما ورد أنه أمر الناس أن يمسكوا مصاحفهم ونحو ذلك لا يثبت أمام النقد والتمحيص، ولو ثبت فإنه خطأ منه، ولا يؤثر بحمد الله علىٰ صحة النص القرآني، لأن الصحابة أجمعوا عليه، ولأن ابن مسعود لم يعترض علىٰ شيء فيه.

أما ما ورد عنه من أنه لم يكن يرىٰ أن المعوذتين من القرآن، وكان يرىٰ أن الله تعالىٰ أنزلهما للتعوذ فقط (علىٰ جهة الدعاء فحسب) حاول بعض العلماء

نفي ثبوته، وأوله بعضهم بتأويلات متكلفة، والذي أرتضيه: أنه قد ثبت عنه ذلك، وهذا خطأ منه رضي الله عنه، وخالف بذلك قول الصحابة جميعًا، وإجماع المسلمين بعده رضي الله عنه.

فحاصل الأمر: أنه لم يعلم، وغيره قد علم، ومن علم حجة علىٰ من لم يعلم، وهذا مما يسوغ في هذا الزمان، ولا يقال: إنَّه قد حضر العرضة، إذ يمكن أن يكون حضوره لبعضها، أو أنَّه حضرها وظنها دعاءً لا من القرآن.

وليس بمستغرب أن يخفىٰ بعض العلم علىٰ بعض الصحابة، ولا بد من التنبه إلىٰ أن المعوذتين أنزلتا في المدينة، ولم ينكر ابن مسعود أنهما أنزلتا من الله، لكنه كان لا يرىٰ قرآنيتهما فحسب، فهذا ظن ظنه، وبان خطؤه بإجماع الأمة.

وقد ذكر بعض العلماء أن ابن مسعود رجع عن ذلك، وأن الأسانيد الإقرائية إليه فيها إثبات المعوذتين، والله أعلم.

*** مراجع إثرائية:**

١- قضية الجمع القرآني، أحمد سالم، ط. مركز تفكر للبحوث والدراسات.

٢- جمع القرآن، د. أكرم الدليمي، ط. دار الكتب العلمية.

٣- تحقيق موقف الصحابي الجليل عبدالله بن مسعود من الجمع العثماني، د. محمد الطاسان، ط. كرسي القرآن وعلومه.

ما المراد بالرسم العثماني؟

تعني عبارة (رسم المصحف) **طريقة رسم الكلمات في المصحف من ناحية (عدد حروف الكلمة ونوعها)**، لا من حيث (نوع الخط وجماليته).

ويستند رسم الكلمات في المصحف إلىٰ طريقة رسمها في المصاحف التي نسخت في خلافة عثمان، رضي الله عنه، والتي عرفت في المصادر الإسلامية باسم المصاحف العثمانية، نسبة إلىٰ سيدنا عثمان لكونه هو الذي أمر بنسخها وإرسالها إلىٰ البلدان خارج الجزيرة العربية، كما صار رسم الكلمات فيها يعرف بالرسم العثماني.

وقد حافظ المسلمون علىٰ رسم الكلمات في المصحف كما جاءت في المصاحف العثمانية الأولىٰ، مع ما في عدد منها من حذف بعض الحروف أو زيادة بعضها، اقتداء بعمل الصحابة، رضي الله عنهم.

وقد كانت المصاحف العثمانية مجرَّدة من نقاط الإعجام ومن الحركات وغيرها من العلامات، لخلوِّ الكتابة العربية في تلك الحقبة منها، وبقيت الكتابة العربية تستعمل علىٰ ذلك النحو حتىٰ النصف الثاني من القرن الأول الهجري،

حين بدأت الدراسات اللغوية في العراق، وكان خلوُّ الكتابة العربية من العلامات من أولىٰ المشكلات التي عالجتها تلك الدراسات.

وتُجمِع المصادر العربية القديمة علىٰ أن أبا الأسود الدؤلي (ظالم بن عمرو [ت: ٦٩]) هو أول من اخترع طريقة لعلامات الحركات تعتمد علىٰ النقاط الحمر، وكان ذلك في البصرة، فجعل الفتحة نقطة فوق الحرف، والكسرة نقطة تحت الحرف، والضمة نقطة أمام الحرف، وجعل التنوين نقطتين.

وتنسب المصادر العربية إلىٰ نصر بن عاصم الليثي البصري (ت: ٩٠)، وهو تلميذ أبي الأسود الدؤلي، اختراع نقاط الإعجام التي تميز بين الحروف المتشابهة في الرسم، مثل الدال والذال، والراء والزاي، ونحوها، وكان ذلك بتوجيه من الحجاج بن يوسف الثقفي في أثناء ولايته علىٰ العراق بين سنة (٧٥-٩٥هـ).

ولم تستمر طريقة أبي الأسود الدؤلي في تمثيل الحركات بالنقاط الحمر طويلًا، لصعوبتها عند الكتابة، واحتمال التباسها بنقاط الإعجام التي وضعها نصر للتمييز بين الحروف المتشابهة في الرسم، وذلك حين جعل الخليل بن أحمد الفراهيدي البصري (ت: ١٧٠) الحركات حروفا صغيرة مكان النقاط الحمر، وكذلك وضع الخليل علامة للهمزة والتشديد والرَّوْم والإِشْمام، واستخدمت العلامات الجديدة تدريجيًا، حتىٰ زالت طريقة الدؤلي بعد ذلك.

وصارت المباحث المتعلقة بالعلامات الكتابية علمًا أُطلق عليه اسم (علم النَّقط والشَّكل)، وهو يعالج كيفية استخدام العلامات في رسم المصحف خاصة، ومذاهب العلماء في ذلك، وسمي هذا العلم في العصور المتأخرة بعلم الضبط.

*** مراجع إثرائية:**

١- الميسر في رسم المصحف، د. غانم قدوري الحمد، ط. معهد الإمام الشاطبي.
٢- رسم المصحف، د. غانم قدوري الحمد، ط. دار عمار.

ثانيًا:

علوم القرآن

«علم القرآن العظيم: هو أرفع العلوم قدرًا، وأجلها خطرًا، وأعظمها أجرًا، وأشرفها ذكرًا».

ابن جزي

«إنَّ أحقَّ ما صُرفت إلىٰ علمه العناية، وبلَغت في معرفته الغاية، ما كان لله في العلم به رِضَا، وللعالم به إلىٰ سبيل الرشاد هدىٰ، وأَنَّ أجمع ذلك لباغيه، كتاب الله الذي لا ريب فيه، وتنزيله الذي لا مرية فيه، الفائز بجزيل الذخر وسنىٰ الأجر تاليه، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيمٍ حميدٍ».

ابن جرير الطبري

ما المراد بالمكي والمدني
وما الفائدة المترتبة على معرفته؟

ينقسم القرآن من حيث مكان نزوله إلىٰ قسمين:

الأول: القرآن المكي، وهو: **(ما نزل قبل الهجرة)**.

والثاني: القرآن المدني، وهو: **(ما نزل بعد الهجرة)**.

لم يحدِّثنا التاريخ أن النَّبي ﷺ كان قد أمر أصحابه بحفظ الآيات والسور علىٰ زمان النزول، وإنما تشير الروايات إلىٰ أنه كان يحدد لهم مواضع الآيات من السور وقت التنزيل وعند كتابتها في الرقاع.

وفي الحديث: «كان رسول الله ﷺ مما يأتي عليه الزمان وهو ينزل عليه من السور ذوات العدد، فكان إذا نَزلَ عليه الشيء دعا بعض من يكتب له، فيقول: (ضعوا هذه في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا)، وإذا أُنزِلَت عليه الآيات، قال: (ضعوا هذه الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا)، وإذا أُنزِلَت عليه الآية، قال: (ضعوا هذه الآية في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا)»، [رواه أحمد: ٤٩٩].

ومن ثمَّ **فإن الصحابة كانت جهودهم متجهة إلىٰ حفظ القرآن مرتبًا علىٰ نحو ما يرتبه لهم رسول الله ﷺ، ولكن بقي في ذاكرتهم ما لاحظوه من مكان وزمان نزول كثير من الآيات والسور، ونقل ذلك عنهم تلامذتهم من التابعين.**

ولمعرفة الفرق بين المكي والمدني فوائد منها:

١- معرفة الناسخ والمنسوخ من القرآن، لأن المتأخِّر (المدني) ينسخ المتقدم (المكي).

٢- فهم الآيات وتفسيرها تفسيرًا صحيحًا، وتنزيلها علىٰ المعاني اللائقة بها من حيث مراد الله منها.

٣- تأكيد الإعجاز في القرآن، فبرغم اختلاف الزمان الذي نزل فيه المكي والمدني إلا أن الأسلوب لم يختلف من حيث الجزالة والبلاغة والبيان.

٤- الرد علىٰ بعض الشبهات التي يثيرها خصوم الإسلام، فإنَّ إعجاز القرآن لم يختلف مع طول المدة، ولم يحصل تناقض بين القرآن المكي والمدني.

٥- مراعاة أسلوب التدرج في التربية أخذًا من المنهج القرآني، ومراعاته في الدعوة أيضًا.

* حصر السور المكية والمدنية:

تحديد مكية السورة أو مدنيتها ثبت بحسب النصوص الواردة عن الصحابة والتابعين، وما لم يثبت فيه نص فهو باجتهاد العلماء عبر الضوابط التي وضعوها لتمييز المكي والمدني.

السور المكية		السور المدنية	المختلف فيها والراجح أنها مكية	المختلف فيها والراجح أنها مدنية
(١) الأنعام	(٣٩) النجم	(١) البقرة	(١) الفاتحة	(١) المطففين
(٢) الأعراف	(٤٠) القمر	(٢) آل عمران	(٢) الرعد	(٢) الفلق
(٣) يونس	(٤١) الملك	(٣) النساء	(٣) الحج	(٣) الناس
(٤) هود				
(٥) يوسف	(٤٢) القلم	(٤) المائدة	(٤) الرحمن	
(٦) إبراهيم	(٤٣) الحاقة	(٥) الأنفال	(٥) الواقعة	
(٧) الحجر	(٤٤) المعارج	(٦) التوبة	(٦) التغابن	
(٨) النحل	(٤٥) نوح	(٧) النور	(٧) الإنسان	
(٩) الإسراء	(٤٦) الجن	(٨) الأحزاب	(٨) الزلزلة	
(١٠) الكهف	(٤٧) المزمل	(٩) محمد	(٩) العاديات	
(١١) مريم	(٤٨) المدثر	(١٠) الفتح	(١٠) التكاثر	
(١٢) طه	(٤٩) القيامة	(١١) الحجرات	(١١) العصر	
(١٣) الأنبياء	(٥٠) المرسلات	(١٢) الحديد	(١٢) الماعون	
(١٤) المؤمنون	(٥١) النبأ	(١٣) المجادلة	(١٣) الكوثر	
(١٥) الفرقان	(٥٢) النازعات	(١٤) الحشر	(١٤) الإخلاص	
(١٦) الشعراء	(٥٣) عبس	(١٥) الممتحنة		
(١٧) النمل	(٥٤) التكوير	(١٦) الصف		

السور المكية		السور المدنية	المختلف فيها والراجح أنها مكية	المختلف فيها والراجح أنها مدنية
(١٨) القصص	(٥٥) الانفطار	(١٧) الجمعة		
(١٩) العنكبوت	(٥٦) الانشقاق	(١٨) المنافقون		
(٢٠) الروم	(٥٧) البروج	(١٩) الطلاق		
(٢١) لقمان	(٥٨) الطارق	(٢٠) التحريم		
(٢٢) السجدة	(٥٩) الأعلىٰ	(٢١) البينة		
(٢٣) سبأ	(٦٠) الغاشية	(٢٢) النصر		
(٢٤) فاطر	(٦١) الفجر			
(٢٥) يس	(٦٢) البلد			
(٢٦) الصافات	(٦٣) الشمس			
(٢٧) ص	(٦٤) الليل			
(٢٨) الزمر	(٦٥) الضحىٰ			
(٢٩) غافر	(٦٦) الشرح			
(٣٠) فصلت	(٦٧) التين			
(٣١) الشورىٰ	(٦٨) العلق			
(٣٢) الزخرف	(٦٩) القدر			
(٣٣) الدخان	(٧٠) القارعة			
(٣٤) الجاثية	(٧١) الهمزة			

السور المكية		السور المدنية	المختلف فيها والراجح أنها مكية	المختلف فيها والراجح أنها مدنية
(٣٥) الأحقاف	(٧٢) الفيل			
(٣٦) ق	(٧٣) قريش			
(٣٧) الذاريات	(٧٤) الكافرون			
(٣٨) الطور	(٧٥) المسد			

*** مراجع إثرائية:**

١- المكي والمدني في القرآن الكريم، د. عبدالرزاق حسين أحمد، ط. دار ابن عفان.

٢- المكي والمدني من السور والآيات، د. محمد الفالح، ط. دار التدمرية.

هل لكل آية من القرآن سبب نزول، وما المراد بأسباب النزول؟

نزول القرآن لا يخرج عن قسمين:

الأول: أن لا يكون له سبب مباشر (**نزول ابتدائي**)، بل ينزل حسب الحاجة والمصلحة، **وهو أكثر القرآن.**

الثاني: أن يقع حدث فينزل قرآن بشأنه، وهذا هو المراد بأسباب النزول، وفيه مؤلفات في حصر الآيات التي نزلت بسبب.

وهذا الحدث يشمل كل قول أو فعل، أو سؤال وقع ممن عاصروا التنزيل، ونزل القرآن بسببهم.

ويمكن أن نعرف سبب النزول بأنَّه: «**كل قول أو فعل نزل بشأنه قرآن عند وقوعه**».

ولأسباب النزول عدة فوائد، يمكننا أن نبرز بعضها في النقاط الآتية:

١- الإعانة علىٰ فهم المراد من الآية.

٢- تصور أحوال من نزل فيهم القرآن.

٣- إبراز حكم التشريع الباهرة.

٤- الكشف عن الظرفين المكاني والزماني لنزول الآيات.

٥- التأسي والاقتداء بما وقع للسلف من حوادث في الصبر علىٰ المكاره واحتمال الأقدار المؤلمة.

*** مراجع إثرائية:**

١- المحرر في أسباب النزول، د. خالد المزيني، ط. دار ابن الجوزي.

٢- التسهيل في أسباب التنزيل، عمرو الشرقاوي، ط. مركز تفكر.

٣- التوظيف العلماني لأسباب النزول، د. أحمد قوشتي، ط. البيان.

هل رُتِّب القرآن على حسب نزوله؟

من المعروف أن ترتيب الآيات والسور في المصحف لم يعتمد علىٰ تأريخ نزولها، وإنما اعتمد علىٰ بيان رسول الله ﷺ وقراءته للقرآن وتعليمه ذلك للصحابة.

وفي الحديث: «كان رسول الله ﷺ مما يأتي عليه الزمان وهو ينزل عليه من السور ذوات العدد، فكان إذا نَزلَ عليه الشيء دعا بعض من يكتب له، فيقول: (**ضعوا هذه في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا**)، وإذا أُنزِلَت عليه الآيات، قال: (**ضعوا هذه الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا**)، وإذا أُنزِلَت عليه الآية، قال: (**ضعوا هذه الآية في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا**)»، [رواه أحمد: ٤٩٩].

ولم يعد تأريخ نزول الآيات والسور محفوظًا علىٰ نحو مفصل، لأن الصحابة لم يعتنوا بهذا الجانب من تأريخ القرآن، وإنما كانت عنايتهم متجهة إلىٰ حفظه علىٰ نحو ما يقرؤه لهم النَّبي ﷺ، لكنَّ إشاراتٍ تأريخية ومعنوية ارتبط بها نزول آيات وسور من القرآن ظلت تشير إلىٰ وقت نزولها ومكانه، واعتنىٰ علماء

القرآن من الصحابة والتابعين بحفظ تلك الإشارات والبناء عليها، حتىٰ صارت علمًا من علوم القرآن يسمىٰ بعلم المكي والمدني، وأفرده بالتصنيف جماعة من العلماء.

كيف تم ترتيب سور القرآن وآياته؟

الصحيح أن السور رتبت في المصحف بتوقيف من النَّبي ﷺ، وقد ذُكرت بعض السور مرتبة في عدد من الأحاديث، ومنها:

عن عبد الرحمن بن يزيد بن قيس، سمعت ابن مسعود، يقول في (بني إسرائيل، والكهف، ومريم، وطه، والأنبياء): «إنهن من العِتَاقِ الأُوَل، وهن من تِلادي»، [رواه البخاري: (٤٩٩٤)]، ومقصوده: أن هذه السور من محفوظه القديم.

وقد **أجمع العلماء** أن ترتيب الآيات مأخوذ من النَّبي ﷺ، لم يتدخل فيه أحد.

ما عدد سور القرآن؟

عدد سور القرآن مائة وأربع عشرة سورة بإجماع العلماء، أولها (الفاتحة) وآخرها (الناس).

وأطول سورة في القرآن هي سورة (البقرة)، وأقصر سورة هي (الكوثر)، وأطول آية هي آية (الدَّيْن)، وأقصر آية هي (والضُّحىٰ) وما شابهها.

وتنقسم سور القرآن إلىٰ أربعة أقسام، بحسب الطول والقصر:

١- الطوال: وهي سبع سور، البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، واختلف العلماء في السابعة، فقال بعضهم: الأنفال والتوبة، وقال بعضهم: يونس.

٢- المئين: وهي السور التي تزيد آياتها علىٰ مائة أو تقاربها، كالأنفال، ويونس، وهود، والنحل، والإسراء، والمؤمنون.

٣- المثاني: وهي التي تلي المئين في عدد الآيات، وسميت بذلك لأنها تُثَنَّىٰ في القراءة، وتُكرَّر أكثر من الطوال والمئين، كالنور، والفرقان، والقصص، ويس، والزمر.

٤- المفصل: وهي السور من سورة: (ق)، أو سورة (الحجرات) إلىٰ سورة (الناس)، وتسميته بالمفصَّل لكثرة الفصل بين سوره بالبسملة.

والمفصل ثلاثة أقسام: طوال، وأوساط، وقصار.

فطواله: من أول (الحجرات) إلىٰ سورة (النبأ)، وأوساطه: من سورة (النبأ) إلىٰ سورة (الضحىٰ)، وقصاره: من سورة (الضحىٰ) إلىٰ آخر القرآن، وقيل: «تعرف الطوال من غيرها بالمقايسة، فالحديد وقد سمع مثلًا طوال، والطور مثلًا قريب من الطوال، ومن تبارك إلىٰ الضحىٰ أوساطه، ومن الضحىٰ إلىٰ آخره قصاره».

وأما تجزئة القرآن وتحزيبه وقسمة الأرباع علىٰ الصورة التي توجد في مصاحف المسلمين = فإنها اجتهادية، ولها أصل من فعل أصحاب النَّبي ﷺ، لكن علىٰ غير هذه القسمة، وكان السلف يختلفون في ذلك، وليس المعنىٰ فيه تعبديًّا وإنما هو لتيسير أخذ القرآن.

هل يمكن أن تتعدد أسماء سور القرآن، وكيف تم تسمية سور القرآن؟

كانت أسماء السور معروفة في زمان النَّبي ﷺ، وقد وردت أحاديث كثيرة فيها أسماء للسور، ووردت روايات كثيرة عن الصحابة، وفيها أنهم كانوا يعرفون السور بأسمائها.

وتنقسم السور من حيث التسمية إلىٰ ثلاثة أقسام:

القسم الأول: ما ثبت عن النَّبي ﷺ، وهذا كثير، ومن أمثلته: عن أبي أمامة الباهلي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اقرؤوا القرآن، فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه.

اقرؤوا الزهراوين: البقرة وسورة آل عمران، فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان -أو كأنهما غيايتان، أو كأنهما فرقان من طير صواف- تحاجَّان عن أصحابهما.

اقرؤوا سورة البقرة، فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا يستطيعها البطلة» [رواه مسلم: (٨٠٤)].

القسم الثاني: ما ثبتت تسميته عن الصحابي، ومثال ذلك ما رواه البخاري بسنده عن سعيد بن جبير قال: «قلت لابن عباس رضي الله عنهما: سورة الحشر. قال: قل: سورة بني النضير» [رواه البخاري: (٤٠٢٩)].

القسم الثالث: تسمية من دون الصحابي إلىٰ وقتنا هذا، وغالب تسمياتهم تأتي حكاية لبداية السورة؛ كقولهم: سورة (أرأيت)، سورة (لم يكن)، وهكذا؛ حيث إنَّه لم يرد النهي عن تسمية السور بأسماء تدل عليها، وعلىٰ هذا مضىٰ السلف والخلف.

ومما يحسن علمه أن بعض السور لها أكثر من اسم، وكل هذا واسع، فقد تكون تلك التسميات مما ثبت عن النَّبي ﷺ، أو مما أخذ عنه وعن الصحابة، أو مما اجتهد العلماء فيه.

فسورة الفاتحة -مثلًا- تسمىٰ (الفاتحة - أم الكتاب - السبع المثاني - الرقية)، وسورة الإسراء تسمىٰ بسورة (بني إسرائيل)، وسورة غافر تسمىٰ بسورة (المؤمن)، وسورة محمد ﷺ تسمىٰ بسورة (القتال)، وهكذا.

وأمَّا ما تراه مذكورا في فواتح السور في مصاحف المسلمين من أسمائها؛ فذلك مما زاده كتاب المصاحف تعريفًا بالسورة، كما زادوا ذكر المكي والمدني وعدد آي السورة، ولم يكن شيء من ذلك موجودًا في المصاحف العثمانية، فليست تلك التسمية جزءًا من المصحف.

* مراجع إثرائية:

أسماء سور القرآن وفضائلها، د. منيرة الدوسري، ط. دار ابن الجوزي.

هل لبعض سور القرآن وآياته فضائل خاصة؟

ورد عن النَّبي ﷺ ما يدل أنَّ لبعض السور والآيات فضائل خاصة، وذلك إمَّا بذكر أجر يترتب علىٰ قراءتها، وإما بقصد قراءتها في وقت معين، وإمَّا ببيان أثرها الحسي والمعنوي علىٰ المسلم.

والملاحظ أن **السور التي ورد لها فضائل أقل من السور التي لم يرد فيها فضائل**، والقرآن كله فاضلٌ باعتبار أنه كلام الله، وباعتبار فصاحته وبيانه، وغير ذلك من أوجه تفضيله.

وبما أنَّ الأصل في التفضيل النقل عن النَّبي ﷺ فإنه يحرم الكذب فيها كما حصل من بعض الزهاد الذين أرادوا الترغيب بالقرآن فاعتمدوا الكذب في هذا الباب، والعياذ بالله.

ومن السور التي ثبت لها فضل:

١- سورة الفاتحة، وهي **أعظم سور القرآن**، عن أبي سعيد بن المعلىٰ، قال: مر بي النَّبي ﷺ وأنا أصلي، فدعاني فلم آته حتىٰ صليت ثم أتيت، فقال: «ما منعك أن تأتيني؟» فقلت: كنت أصلي، فقال: ألم يقل الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ﴾ [الأنفال: ٢٤]، ثم قال: «ألا أعلمك أعظم سورة في القرآن قبل أن أخرج من المسجد» فذهب النَّبي ﷺ ليخرج

من المسجد فذكرته، فقال: «الحمد لله رب العالمين. هي السبع المثاني، والقرآن العظيم الذي أوتيته» [رواه البخاري: (٤٧٠٣)].

٢- سورة البقرة وآل عمران، عن أبي أمامة الباهلي، قال: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: «اقرءوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه، اقرءوا الزهراوين البقرة، وسورة آل عمران، فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان، أو كأنهما غيايتان، أو كأنهما فرقان من طير صواف، تحاجان عن أصحابهما، اقرءوا سورة البقرة، فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا تستطيعها البطلة». [رواه مسلم: (٨٠٤)].

ومنها: سورة الملك، والإخلاص، والكافرون، والأعلىٰ، والغاشية.

وكما أن لبعض السور فضائل خاصة، **فلبعض الآيات فضائل كذلك،** وأعظم آية في القرآن هي (آية الكرسي)، ومن الآيات التي لها فضائل: (خواتيم سورة البقرة).

*** مراجع إثرائية:**

١- فضائل القرآن وسوره وآياته، د. فاروق حمادة، دار القلم.

٢- فضائل القرآن، د. عبدالسلام الجار الله، ط. دار التدمرية.

ما المقصود بموضوعات السور ومقاصدها، وما أثر معرفة ذلك؟

هناك تقارب شديد بين موضوعات السور ومقاصدها، فلكل سورة من القرآن مقصد وغاية، أي: مغزىٰ ترجع إليه معاني السورة ومضمونها، ويمثل روحها الذي يسري في جميع أجزائها.

وقد يكون المقصد هو نفس موضوع السورة، وقد يختلف المقصد عن الموضوع، بأن يكون للسورة الواحدة عدد من الموضوعات، وهذه الموضوعات ترجع إلىٰ مقصد واحد.

ومعرفة موضوعات السورة، ومقصدها، من أهم المعينات علىٰ تدبر السورة، وإدراك إعجازها، لأنك تجد أن السورة علىٰ اختلاف موضوعاتها تؤدي إلىٰ هدف واحد في تناسق لا بد أن يحكم الناظر فيه باستحالة أن يكون هذا الكلام من صنع البشر.

والبحث عن موضوعات السورة، ومقصدها، **لا بد فيه من أمور:**

أهمها: إدراك معاني السورة، وإدراك المناسبات بين الآيات، وإدراك المناسبة بين السورة وما قبلها وما بعدها، وهذا كله يجعل القارئ للقرآن أكثر انتباهًا لما يتلوه، وأشد استحضارًا لما يفهمه.

ومن الكتب المهمة في هذا المضمار:

١- أسماء سور القرآن، وفضائلها، د. منيرة الدوسري، دار ابن الجوزي، وهو أهم كتاب في بابه.

٢- النبأ العظيم، د. محمد دراز، مركز تفكر.

٣- محتويات سور القرآن الكريم، للشيخ أحمد الطويل، دار الوطن.

٤- دلائل النظام، للمعلم الفراهي.

٥- البرهان في تناسب سور القرآن، للإمام ابن الزبير الغرناطي، دار ابن الجوزي.

٦- التناسب بين السور في المفتتح والخواتيم، د. فاضل السامرائي، دار ابن كثير.

ومن التفاسير التي اعتنت بإبراز هذه الجوانب:

١- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للإمام البقاعي.

٢- التحرير والتنوير، للإمام الطاهر ابن عاشور.

٣- في ظلال القرآن، للأستاذ سيد قطب.

٤- موسوعة التفسير الموضوعي، جامعة الشارقة.

ما عدد آي القرآن المجيد؟

اختلف العلماء في عد آي القرآن، والخلاف فيه محتمل مقبول؛ لأنه لا أثر له في أصل القرآن، وإنما يقع أثره في أمور، منها:

١- أن الوقف علىٰ رأس الآية سنة عند بعض العلماء، ومعرفة مكانه يعين علىٰ تطبيق هذه السنة.

٢- أنها تتعلق ببلاغة القرآن، فالوقف علىٰ رأس الآية -ولو كان ما بعدها متعلقًا بها من جهة المعنىٰ- مقصد من مقاصد المتكلم، وإلا فما فائدة رأس الآية، لذا فإن من يقف علىٰ رؤوس الآي التي تتعلق بما بعدها، فإنه يستجلب ذهنك للتفكير والتدبر في هذه الجملة التي انقطع فيها المبتدأ عن الخبر، وشبه الجملة عن متعلقه . . . إلخ.

٣- وكان الصحابة ﷺ يتعاملون به في تقدير زمن بعض الأمور المتعلقة بتوقيت الصلاة، فكانوا يحسبونها بعدد الآي: عن أنس، عن زيد بن ثابت ﷺ، قال: «تسحرنا مع النبي ﷺ، ثم قام إلىٰ الصلاة»، قلت: كم كان بين الأذان والسحور؟ قال: «قدر خمسين آية»، [رواه البخاري: (١٩٢١)].

وتُنسب مذاهب علم عد الآي إلىٰ جماعة من كبار علماء القراءة في أمصارهم، وتُروىٰ بالأسانيد المتصلة إليهم.

والمذاهب المشهورة في علم العدد ستة هي: العدد المدني الأول، والعدد المدني الثاني، والمكي، والبصري، والشامي أو الدمشقي، والكوفي.

وسأذكر عدد آي القرآن في كل مذهب من المذاهب الستة:

١- العدد المدني الأول: (٦٢١٧).

٢- العدد المدني الثاني: (٦٢١٤).

٣- العدد المكي: (٦٢١٩)، وقيل: (٦٢٢٠).

٤- العدد البصري: (٦٢٠٤).

٥- العدد الدمشقي: (٦٢٢٦)، وقيل: (٦٢٢٧).

٦- العدد الكوفي: (٦٢٣٦).

وتنقسم سور القرآن من حيث الاتفاق والاختلاف في عد آيها إلىٰ ثلاثة أقسام:

القسم الأول: ما لم يختلف فيه لا في إجمال ولا في تفصيل، وهو أربعون سورة، منها: سورة: (يوسف - النحل - الأحزاب - الحجرات - التغابن).

القسم الثاني: ما اختلف فيه تفصيلًا لا إجمالًا، وهو أربع سور: (القصص - العنكبوت - الجن - العصر).

القسم الثالث: ما اختلف فيه إجمالًا وتفصيلًا، وهو بقية السور (سبعون سورة).

والمقصود بالإجمال: عدد آي السورة، والتفصيل: موطن الاختلاف في عد الآية داخل السورة.

فمثلًا: سورة العصر (٣ آيات) باتفاق علماء العد، فهذا اتفاق في (الإجمال)، لكنهم اختلفوا في تفصيل العد، فبعضهم عد ﴿وَٱلۡعَصۡرِ﴾ آية، وبعضهم لم يعدها آية، وعد ﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ﴾ آية، فهذا اختلاف في (التفصيل).

*** مراجع إثرائية:**

الميسر في علم عد الآي، د. أحمد خالد شكري، ط. معهد الإمام الشاطبي.

ما الحكمة من تكرار قصص القرآن الكريم؟

إذا أردنا أن نُعدد الفوائد التي يضفيها هذا الأسلوب علىٰ مجمل ما في القرآن الكريم لعددنا شيئًا كثيرًا، ولكنا نقتصر هنا علىٰ بعض هذه الفوائد:

١- زيادة بعض التفاصيل التي لم تذكرها الآيات من قبل.

٢- تأكيد التحدي الذي جاء به القرآن لمشركي العرب أن يأتوا بشيء من مثله، فقد كشف هذا التنوع في العبارة عن عجزهم عن الإتيان بمثله بأي نظم جاء، وبأي عبارة عبَّر.

٣- إذهاب السآمة والملل عن القصة، وذلك أن العرض الجديد يشد الأسماع، ويلفت الأنظار، ويبقي صلة المتعة والفائدة بين القارئ والنص المقدس.

٤- ظهور الأمر العجيب في إخراج صور متباينة في النظم بمعنىٰ واحد، وقد كان المشركون في عصر النَّبي ﷺ يعجبون من اتساع الأمر في تكرير هذه القصص والأنباء مع تغاير النظم، وبيان وجوه التأليف، فعرفهم الله سبحانه أن

الأمر بما يتعجبون منه مردود إلىٰ قدرة من لا يلحقه نهاية، ولا يقع علىٰ كلامه عدد.

٥- التناسق مع الموضوع والمناسبة التي وردت القصة لأجلها، فأحيانًا تقتضي هذه المناسبة إبراز معنىً في الحوار الدائر لم يكن من الضروري إبرازه في مناسبة أخرىٰ وردت فيها القصة، وهذه الفائدة باب واسع من أبواب اكتشاف بحور بلاغة القرآن وإعجازه، وأمثلتها التفصيلية موجودة في بطون كتب التفسير.

٦- ليتهيأ لمن لا يقرأ القرآن كاملًا الوقوف علىٰ قصص القرآن، وما تحويه من عبر في الجزء الذي يتلوه.

*** مراجع إثرائية:**

١- دعوة الرسل، للشيخ محمد أحمد العدوي، اعتناء: عمرو الشرقاوي، ط. مركز تفكر.

٢- القصص القرآني، د. صلاح الخالدي، ط. دار القلم.

هل قصة يوسف عليه السلام
هي أحسن قصص القرآن؟

اشتهر بين الناس أنَّ أحسن قصة في القرآن قصة يوسف عليه السلام، والصحيح أنَّها ليست أحسن قصص القرآن، وأنَّ أحسن قصص القرآن **قصة موسىٰ** عليه السلام.

وأمَّا قوله تعالىٰ: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾ [يُوسُف: ٣]، فليس المراد به قصة يوسف وحدها، بل هي مما قصه الله، ومما يدخل في أحسن القصص.

ومعلوم أن قصة موسىٰ عليه السلام وما جرىٰ له مع فرعون وغيره، أعظم وأشرف من قصة يوسف، ولهذا هي أعظم قصص الأنبياء التي تذكر في القرآن.

وقد تكررت قصة موسىٰ عليه السلام في القرآن، وبسطت أكثر من غيرها، وفيها من العبر والعظات ما يجعلها أفضل قصص القرآن.

بل إنَّ قصص سائر الأنبياء، كنوح وهود وصالح وشعيب وغيرهم، أعظم من قصة يوسف، ولهذا كرر الله تعالىٰ تلك القصص، ولم يكرر قصة يوسف.

وهذا مما يدعو المؤمن إلىٰ النظر في تلك القصص، وتأملها.

فما فعلته الأنبياء من الدعوة إلىٰ توحيد الله وعبادته ودينه، وإظهار آياته وأمره ونهيه، ووعده ووعيده، ومجاهدة المكذبين لهم، والصبر علىٰ أذاهم =

هو أعظم عند الله، ولهذا كانوا أفضل من يوسف صلوات الله عليهم أجمعين، وما صبروا عليه وعنه أعظم من الذي صبر يوسف عليه وعنه، وعبادتهم لله وطاعتهم وتقواهم وصبرهم بما فعلوه، أعظم من طاعة يوسف وعبادته وتقواه، وأولئك هم أولوا العزم الذين خصهم الله بالذكر في قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا﴾ [الأحزاب: ٧]، وقال تعالىٰ: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾ [الشورى: ١٣].

وهم يوم القيامة الذين تطلب منهم الأمم الشفاعة، وبهم أُمر خاتم الرسل أن يقتدىٰ في الصبر، فقيل له: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ ۚ بَلَـٰغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، فقصصهم أحسن من قصة يوسف.

فعلىٰ المؤمن أن ينظر في قصص الأنبياء، وأن يعتبر بها، وأن ينزل ما جرىٰ لهم علىٰ حاله = فإنهم خير العالمين، وصفوة الخلق، وهم الذين أمر الله بالاقتداء بهم كما قال سبحانه: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ٩٠].

*** مراجع إثرائية:**

مجموع الفتاوىٰ، شيخ الإسلام ابن تيمية: (١٧/ ١٩-٣٤).

ما المراد بالنسخ في القرآن الكريم؟

يطلق النسخ في كتب العلم علىٰ نوعين:

١- نسخ كلي: وهذا الذي يدخل في الأحكام، ولا يجري علىٰ الأخبار، وتعريفه: (رفع حكم دليل شرعي، أو لفظه، بدليل).

٢- نسخ جزئي: وهذا يدخل في الأحكام والأخبار، وفي هذا توسيع لمصطلح النسخ، فأي رفع من معنىٰ الآية يعتبر -علىٰ هذا الاصطلاح- نسخًا، ويدخل في ذلك تخصيص العام، وتقييد المطلق، وبيان المجمل.

ومن أمثلته:

أن ابن عباس حكم علىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ﴾ [الشعراء: ٢٢٤] أنه منسوخ بقوله تعالىٰ: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [الشعراء: ٢٢٧].

والآية المنسوخة خبر، وقد تقرر في قواعد النسخ أن الأخبار لا تنسخ.

ولكن إذا حملت النسخ علىٰ مطلق الرفع، وأنَّه هنا رفع بعض العموم الوارد علىٰ لفظ الشعراء، وبهذا يكون الاستثناء الوارد بعد هذا العموم قد خصص من الشعراء من آمن بالله = صحَّ لك ما ورد من الحكم بالنسخ، وأنه لا يراد به

النسخ علىٰ الاصطلاح المتأخر الذي استقر عليه علماء أصول الفقه وغيرهم، والله أعلم.

* وقد انتهىٰ النسخ بوفاة النبي ﷺ، ولا يمكن بحال أن يقع نسخ بعد ذلك، لأن الدين قد كمل واستقر، فلا يجوز لأحد أن يدعي نسخ حكم من الأحكام الشرعية بحجة عدم موائمته للعصر، لأن النسخ موقوف علىٰ الدليل الشرعي، وليس متروكًا لأهواء الناس.

فليس لعالم أن يدعي نسخ شيء في القرآن إلا بدليل شرعي.

* والنسخ من الأمور التي يدخلها الاجتهاد، فقد يقول عالم بنسخ آية، ويرىٰ آخرون أنها ليست منسوخة، ولم يقع النسخ في كثير من الآيات، بل في قليل منها، فالأصل: الإحكام لا النسخ، فليس الأمر بمهولٍ، حتىٰ إنَّه ليظن الظان أن القرآن منسوخٌ كله، فإن هذا خلاف الحقيقة، فإن الحقيقة أن الأقل من آيات القرآن هو المنسوخ، وبعض أنواع النسخ أقل من البعض الآخر.

* وإيماننا بوقوع النسخ في الإسلام، تابعٌ لإيماننا بعلم الله تعالىٰ وحكمته، وهو من أفعال الله تعالىٰ، فالله تعالىٰ قد علم الحكم الأول، وعلم أنه سيُنسخ في الزمان المتأخر، فإيماننا بكمال علم الله تعالىٰ، وإحاطته بخلقه، يجعلنا نؤمن بالنسخ، وأنه من محاسن الشريعة، بل من محاسن الشرائع السماوية.

فإذا آمنت أن الحكم لله، وأنه يعلم من خلق، ويعلم ما يصلحهم = سهُل عليك الإيمان بالنسخ تبعًا لذلك.

* وفكرة النسخ -في ذاتها- فكرةٌ سائغة لأن الحوادث والمستجدات تتطلب حلولًا متنوعة، والله تعالىٰ نص في بعض الآيات علىٰ كونها مؤقتة، مثل: ﴿حَتَّىٰ

يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ [البَقَرَة: ١٠٩]، و﴿أَوْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾ [النِّسَاء: ١٥]، فبعض الأحكام كان لمدة محددة، ينتهي بانتهائها.

* والنسخ انعكاس لفكرة التدرج، والمسلك التدريجي في التعليم والتشريع ليس عيبًا، وإنما هو أنجح المناهج في تكوين النفس الواعية المستنيرة المشبعة بالحكمة، والأمم المنظمة، والخلق المتين.

* وفرض وقوع النسخ لا يترتب عليه وقوع محال عقلي، بل إنَّ العقل ليجد في النسخ مراعاةً لمصالح العباد، ورحمة بهم، وهذا واقعٌ في كثير من وقائع النسخ التي يذكرها العلماء، فكم من حكمٍ خُفف وأثبت مكانه حكمٌ آخر.

وقد تكون المصلحة ابتلاءً يبتلي الله به بعض عباده، ليقول أهل الثبات: آمنا به كلٌ من عند ربنا، وليعترض عليه السفهاء من الناس.

* ووقوع النسخ في الشريعة، له عدة فوائد تترتب عليه، من أهمها:

١- التدرج في الأحكام علىٰ الأمة حتىٰ لا تنفر ويسهل عليها تقبله، كما حصل في تشريع تحريم الخمر، واستخدام هذا الأسلوب في الدعوة، فالداعي يبدأ مع المدعو بالتدرج وتعليقه بالدار الآخرة وزرع الإيمان في قلبه، ثم يخبره بأحكام الإسلام شيئًا فشيئًا.

٢- بيان رحمة الله بهذه الأمة؛ فهو سبحانه يراعي أحوال الناس وعاداتهم ويتدرج معهم رحمة بهم حتىٰ لا ينفروا من الإسلام، بل يحببهم به حتىٰ يكونوا من أهله.

٣- التذكير بنعمة الله لاسيما في بعض أنواع النسخ الذي يكون فيها النسخ من أثقل إلىٰ أسهل كما هو الحال في عدة المتوفىٰ عنها زوجها وغير ذلك.

٤- إرادة الخير بهذه الأمة، فإنَّ النسخ إن كان إلىٰ ما هو أخف ففيه سهولة ويسر، وإن كان إلىٰ ما هو أثقل ففيه زيادة الثواب والأجر.

٥- يقع في النسخ تطييب نفس رسول الله ﷺ ونفوس أصحابه بتمييز هذه الأمة علىٰ الأمم وإظهار فضلها، ومثاله قصة نسخ استقبال القبلة، حيث كانت حين فرضت الصلاة إلىٰ بيت المقدس، ثم حولت إلىٰ الكعبة.

* والقرآن ينسخ بالقرآن باتفاق العلماء، واختلفوا في نسخ القرآن بالسنة.

* وقد وقع النسخ في القرآن الكريم، والأدلة علىٰ وقوعه كثيرة، ويمكننا أن نردها إلىٰ عدة معاقد:

الأول: دلالة الوقوع.

وهو أصدق دليل علىٰ وجوده، فقد وقع النسخ في القرآن، ونحن إذا تلمسنا دلالة تلك الآيات علىٰ النسخ، لوجدناها نصوصًا صريحة بوقوعه، ومن ذلك قوله سبحانه: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ١٤٢]، فهذه الآية دليل علىٰ وقوع النسخ، لأنها تدل علىٰ تغير في القبلة، وهذا التغير نسخ من قبلة إلىٰ أخرىٰ، كما قال تعالىٰ: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٤٤].

وهذا أول نسخ حصل في الإسلام.

هذا من غير ضميمة الأحاديث المصرحة بوجود النسخ في هذه الآيات، فكيف بوجودها؟!

ومن أمثلة الوقوع أيضًا قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۢ﴾ [المزمل: ٢٠]، فهذه الآية نسخت أول السورة، وهو قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ١-٤].

فقد نُسِخ فرض قيام الليل الكائن في أول الإسلام، وأصبح مستحبًا كما ورد في آخر السورة المباركة.

ثانيًا: دلالة الإجماع.

فقد أجمع العلماء علىٰ وقوع النسخ في القرآن، وإن اختلفوا في تفصيل الآيات المنسوخة، وهذا الإجماع من أقوىٰ مراتب الإجماع، لأنه إجماع الصحابة رضي الله عنهم، وسائر من بعدهم من علماء المسلمين.

وقد نص الصحابة أنفسهم، وهم أعلم الناس بالقرآن والسنة علىٰ أهمية تعلم الناسخ والمنسوخ.

وقد ألَّف العلماء مؤلفات كثيرة في علم (الناسخ والمنسوخ) وهذا دليل عملي علىٰ أهمية هذا العلم، ومن باب أولىٰ علىٰ وقوعه، ووجوده.

ومن أمثلة ما أجمع العلماء علىٰ نسخه: نسخ إيجاب الصدقة بين يدي رسول الله الثابت في قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ ۚ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المجادلة: ١٢].

حيث نسخها قوله تعالىٰ: ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ ۚ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المجادلة: ١٣].

ثالثًا: دلالة القرآن.

فقد ذكر الله النسخ في عدد من الآيات، من أظهرها قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ ۙ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ١٠١-١٠٢]، وقال تعالىٰ: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٠٦].

فهذه الآيات تتحدث عن وجود النسخ ووقوعه في القرآن الكريم.

- ومن المهم أن نعلم أن سور القرآن، من حيث وجود الناسخ والمنسوخ فيها، فيما ذكره بعض العلماء، إلىٰ أربعة أقسام:

الأول: قسم ليس فيه ناسخ ولا منسوخ؛ وهو ثلاث وأربعون سورة: (الفاتحة، ويوسف، ويس، والحجرات، والرحمن، والحديد، والصف، والجمعة، والتحريم، والملك، والحاقة، ونوح، والجن، والمرسلات، وعمَّ، والنازعات، والانفطار، وثلاث بعدها، والفجر وما بعدها إلىٰ آخر القرآن، إلا التين والعصر والكافرون).

الثاني: قسم فيه الناسخ والمنسوخ، وهي خمس وعشرون: (البقرة، وثلاث بعدها، والحج، والنور وتالياها، والأحزاب، وسبأ، والمؤمن، والشورىٰ، والذاريات، والطور، والواقعة، والمجادلة، والمزمل، والمدَّثر، وكُوِّرت، والعصر).

الثالث: قسم فيه الناسخ فقط، وهو ستٌّ: (الفتح، والحشر، والمنافقون، والتغابن، والطلاق، والأعلىٰ).

الرابع: قسم فيه المنسوخ فقط، وهو الأربعون الباقية.

* ويقع النسخ في القرآن علىٰ وجوه:

١- نَسْخ الحكم، وبقاء التلاوة: فتبقىٰ الآية في المصحف، ولكن لا يعمل بها، مثاله: قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعَةٗ مِّنكُمۡۖ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمۡسِكُوهُنَّ فِي ٱلۡبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا﴾ [النِّسَاءِ: ١٥]، نُسِخ بقوله تعالىٰ: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖۖ﴾ [النُّور: ٢]، ونُسِخ بالرجم.

٢- نَسْخ التلاوة، مع بقاء الحكم: فترفع الآية من المصحف، ويبقىٰ العمل بحكمها، وهذا النوع قليل الوجود في النصوص المنقولة إلينا، وثبوت حكمه مع نسخ تلاوته إنما عرف عن طريق النقل الثابت، ومثاله: عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «إنَّ الله بعث محمدًا ﷺ بالحق، وأنزل عليه الكتاب، فكان مما أنزل الله آية الرجم، فقرأناها وعقلناها ووعيناها، رجم رسول الله ﷺ ورجمنا بعده، فأخشىٰ إن طال بالناس زمان أن يقول قائل: والله، ما نجد آية الرجم في كتاب الله، فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله» [رواه البخاري: (٦٨٢٩)، ومسلم: (١٦٩١)].

ومن الناس من ذهب إلىٰ رد وجود هذا النوع من النسخ، وتعرض لبعض الأحاديث الواردة بذلك بالتضعيف، ولأخرىٰ بالتأويل، ولم يتعرض لطائفة أخرىٰ منها وهي ثابتة صريحة، كهذا الذي ذكرت، والصواب ما بينت من ثبوت هذا

النوع من النسخ، واندراجه تحت القول بصحة النَّسخ، وهذا أصح مَسْلكًا من رد الصحيح الثابت بغير حجة مع إمكان حمله علىٰ معنىٰ صحيح.

٣- نسخ التلاوة والحكم:

وهو نوعَان:

الأول: ما بلغنا لفظه أو موضوعه، كما في حديث عائشة ﵂ قالت: «كان فيما أنزل من القرآن: عشر رضعات معلومات يحرمن، ثم نسخن بخمس معلومات» [رواه مسلم: (١٤٥٢)].

والثاني: ما بلغنا مجرد الخبر عنه ورفع منه كل شيء، كما في حديث زر بن حبيش قال: قال لي أبي بن كعب: «كأين تقرأ سورة الأحزاب؟ أو كأين تعدها؟ قال: قلت له: ثلاثًا وسبعين آية، فقال: قط؟ لقد رأيتها وإنها لتعادل سورة البقرة» [رواه أحمد في زيادات المسند: (٢١٢٠٧)].

* مراجع إثرائية:

١- النسخ في القرآن، د. مصطفىٰ زيد، ط. دار اليسر.

٢- الآيات المنسوخة، د. عبدالله الأمين الشنقيطي، ط. مكتبة ابن تيمية.

٣- محاضرة: الرد علىٰ من أنكر وقوع النسخ في القرآن، للشيخ د. الشريف حاتم العوني.

هل يقع التعارض في القرآن الكريم؟

لا يوجد تعارض حقيقيٌ في القرآن، هذه حقيقة لا جدال فيها، لأن الله أخبرنا بذلك، فالقرآن لا ريب فيه، ولا يمكن أن يتطرق إليه الاختلاف بوجه من الوجوه؛ لأن الله سبحانه حين أنزل القرآن للناس، جعله هاديًا للتي هي أقوم، جعله نورًا يهتدي به الناس ليخرجوا من الظلمات.

ومن تمام كون القرآن نورًا وهدىٰ ألا يكون فيه تعارض ولا اختلاف بوجه من الوجوه؛ لأنه كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، قال سبحانه: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]، وقال: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤].

فالذي يمكن حصوله أن يتوهم العقل وجود تعارض بين آية وآية، أو بين آية وحديث، أو بين حديث وحديث، أمَّا أن يحصل هذا التعارض حقيقة فلا يمكن بحال من الأحوال.

* من حِكَم حصول توهم التعارض:

١- لا شك أن عقول بني آدم متفاوتة، وعلمهم متفاوت كذلك، ومن تمام حكمة الله تعالىٰ في خلقه أن يُظهر فضل أهل العلم، وشرفهم، فإذا توهم متوهم

حصول التعارض وكشف العالم ما يزيل هذا التعارض؛ ظهر فضله، وتبينت مكانته.

٢- ومن حكمة الله أن ينشأ في العقل توهم للتعارض ليتحفَّز العقل للبحث عما يزيل هذا التعارض، فيكون باعثًا له علىٰ التعلم، ومعرفة أهل العلم، والأخذ عنهم.

٣- وقد ينشأ توهم التعارض لأجل خلل في القلب، وخلل في تلقي الوحي، وإنك إذا تأملت العوائق التي ذكرها القرآن متعلقة بفهمه = ستجد أنه أثبت عائقًا، ونفىٰ عائقًا:

- فأما العائق الذي نفاه، فهو: وجود الاختلاف فيه.

- وأما العائق الذي أثبته، فهو: إغلاق القارئ قلبه.

ونحن إذا تأملنا قوله: ﴿أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤]، سنجد أنه أرجع الخلل إلىٰ القلوب، لأن القلب إذا تأثر بالهوىٰ قاده إلىٰ الزيغ والانحراف عن طريق الوصول إلىٰ المعنىٰ الصحيح.

٤- ولذلك أمر الله بترك العجلة في تلقي الوحي، وأن يُتلىٰ القرآن علىٰ مُكث ومَهَلٍ، وأن يرجع غير العالم إلىٰ العالم لإزالة ما يلتبس عليه فهمه في القرآن المجيد.

قال سبحانه: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]، وقال: ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الإسراء: ١٠٥].

ولا يخلو كتاب من كتب تفسير القرآن من إزالة ما قد يوهم التعارض بين آيات القرآن المجيد.

وإذا حصل إشكال في توهم التعارض بين آية وآية، أو بين آية وحديث، أو بين حديث وحديث، فإنَّ هناك طرقًا لدفع هذا التوهم، منها:

١- تحرير وجه التعارض.

٢- جمع الآيات في نفس الموضوع.

٣- النظر في السياق.

٤- تلمس الأحاديث والآثار الصحيحة لدفع التعارض.

٥- إعمال قواعد الترجيح.

فإن حصل لك إشكال، ولم تستطع الوصول إلىٰ ما يدفع هذا التعارض فسَلْ أهل العلم، وسيجيبونك بدفع ما توهمته من تعارض.

وقد كان النبي ﷺ يزيل للصحابة ما قد يوهم التعارض بين آيات القرآن الكريم بعضها البعض، وبين آيات القرآن وكلامه ﷺ، وكان الصحابة يفعلون.

وقد أتي رجلٌ لابن عباس رضي الله عنهما ليعرض عليه ما توهمه من تعارض في القرآن الكريم، فقال الرجل لابن عباس: «إني أجد في القرآن أشياء تختلف علي.

١- قال: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١]، ﴿وَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ﴾ [الصافات: ٢٧]، ﴿وَلَا يَكۡتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثٗا﴾ [النساء: ٤٢]، ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشۡرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣]، فقد كتموا في هذه الآية.

٢- وقال: ﴿أَمِ ٱلسَّمَآءُۚ بَنَىٰهَا﴾ [النازعات: ٢٧] إلىٰ قوله: (﴿دَحَىٰهَآ﴾ [النازعات: ٣٠]، فذكر خلق السماء قبل خلق الأرض، ثم قال: ﴿قُلۡ أَئِنَّكُمۡ لَتَكۡفُرُونَ بِٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ فِي يَوۡمَيۡنِ وَتَجۡعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ﴾ [فصلت: ٩] إلىٰ ﴿طَآئِعِينَ﴾ [فصلت: ١١]، فذكر في هذه الآية خلق الأرض قبل السماء.

٣- وقال: وكان الله غفورًا رحيمًا، وكان الله عزيزًا حكيمًا، وكان الله سميعًا بصيرًا، فكأنه كان، ثم مضىٰ».

هذه نماذج ثلاثة، لموهم التعارض بين آيات القرآن الكريم، وقد أجاب عنها ابن عباس إجابة شافية، فقال رضي الله عنه:

«١- لا أنساب في النفخة الأولىٰ: ثم نفخ في الصور فصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله، فلا أنساب بينهم عند ذلك ولا يتساءلون، ثم في النفخة الآخرة أقبل بعضهم علىٰ بعض يتساءلون.

٢- وأما قوله: ﴿مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣]، ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٤٢]، فإنَّ الله يغفر لأهل الإخلاص ذنوبهم وقال المشركون تعالوا نقول: لم نكن مشركين، فختم علىٰ أفواههم فتنطق أيديهم، فعند ذلك عرف أن الله لا يكتم حديثًا وعنده ﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٤٢] الآية.

٣- وخلق الأرض في يومين، ثم خلق السماء، ثم استوىٰ إلىٰ السماء فسواهن في يومين آخرين، ثم دحا الأرض، ودحيها أن أخرج منها الماء والمرعىٰ، وخلق الجبال والآكام وما بينهما في يومين آخرين، فخلقت الأرض وما فيها من شيء في أربعة أيام، وخلقت السموات في يومين، وكان الله غفورًا رحيمًا، سمىٰ نفسه بذلك، وذلك قوله: إني لم أزل كذلك».

ثم قال ابن عباس للرجل في وصية جامعة لكيفية التعامل الصحيح مع موهم التعارض:

«فإنَّ الله لم يرد شيئًا إلَّا أصاب به الذي أراد، فلا يختلف عليك القرآن فإنَّ كلًّا من عند الله».

فإنَّ كُلًّا من عند الله!

ثالثًا:

إعجاز القرآن

«الإتيان بمثل القرآن لم يكن قط في قدرة أحد من المخلوقين، ويظهر لك قصور البشر في أن الفصيح منهم يصنع خطبة أو قصيدة يستفرغ فيها جهده، ثم لا يزال ينقحها حولًا كاملًا، ثم تعطىٰ لآخر نظيره فيأخذها بقريحة جامَّة فيبدل فيها وينقح ثم لا تزال كذلك فيها مواضع للنظر والبدل.

وكتاب الله لو نزعت منه لفظة ثم أدير لسان العرب في أن يوجد أحسن منها؛ لم يوجد.

ونحن تبين لنا البراعة في أكثره ويخفىٰ علينا وجهها في مواضع لقصورنا عن مرتبة العرب يومئذ في سلامة الذوق وجودة القريحة وميز الكلام».

ابن عطية

ما المراد بالإعجاز في القرآن الكريم؟

القرآن الكريم هو أعظم آيات النَّبي، وقد تحدىٰ الله به العرب، فعجزوا عن الإتيان بمثله، بل ولا الإتيان بسورة من مثله.

وقد تنوعت ألوان الإعجاز في القرآن الكريم.

والذي ينتظم -من وجوه الإعجاز المحكية- في كلِّ سورة من سور القرآن، ولا يتخلف عن واحدةٍ منها = هو ما يتعلق بالنظم العربي، دون ما سواه من أنواع الأوجه المحكية في إعجاز القرآن، مع الإقرار بأن أوجه الإعجاز متنوعة.

أريد مثالًا علىٰ إعجاز القرآن الكريم من جهة نظمه.

إنَّ التعامل مع القرآن الكريم يحتاج إلىٰ تجرد، وصدق في طلب الحق، ونحن نرىٰ من صدق في طلب الحق يقوده القرآن إلىٰ الإيمان بالله والتصديق بكلامه.

ونحن نبين إن شاء الله تعالىٰ شيئًا من إعجاز القرآن في هذه السورة المباركة، سورة الكافرون، وكيف أنها مع وجازتها حوت من المعاني الشيء الكثير، والكثير جدًّا، وسنجعل هذه الفوائد علىٰ هيئة نقاط ليتضح لك الأمر.

يقول الله تعالىٰ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ﴾ [الكافرون: ١-٦].

وهذه السورة الكريمة، جمعت التوحيد العملي، فهي سورة البراءة من الكافرين.

١- افتتحها الله بقول (قل) ليبين أن أمر الدين ليس بيد أحد، ولو كان محمدًا ﷺ، بل الدين لله، منه وإليه.

٢- ثم يأتي النداء ﴿يَٰٓأَيُّهَا﴾، الذي يستدعي إقبال المنادىٰ، وانتباهه إلىٰ ما يقال.

٣- جمع الله ﷻ في الآية الأولىٰ بين عدة أصناف في وصف واحد، فجمع بين كل من لم يؤمن برسول الله ﷺ، لأنهم جميعًا يشتركون في وصف الكفر، فهذه آية واحدة تتحدث عن الكافرين من مشركين، ويهود، ونصارىٰ، وبوذيين، وغيرهم.

٤- ثم أمر الله نبيه أن ينفي عبادته لآلهة المشركين في الحاضر، فقال: ﴿لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ﴾، أي: الآن.

٥- وأن ينفي عبادته لآلهة المشركين في المستقبل، فقال: ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمۡ﴾.

٦- وفي مقابل نفي عبادته لآلهة المشركين في الحاضر، جاء إثبات الشرك لهم في الحاضر، في قوله: ﴿وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ﴾، وفي مقابل نفي عبادته لآلهتهم في المستقبل قال: ﴿وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ﴾.

٧- وعبر عن الله تعالىٰ المعبود بـ (ما)، والتي تعني في هذا السياق المعبود الموصوف بكونه أهلًا للعبادة، ولم يعبر بـ (من) التي لا تفيد هذا المعنىٰ.

تنبيه: (ما): تستخدم للعاقل وغيره، وتطلق علىٰ العاقل ويراد بها: التفخيم والتعظيم، أما (من) فلا تستخدم إلا للعاقل.

٨- وقدم قوله: ﴿لَكُمۡ دِينُكُمۡ﴾ علىٰ قوله: ﴿وَلِيَ دِينِ﴾ ليشعرهم بسوء اختيارهم، وعسير عاقبتهم، وليخبرهم أنه اختار النصيب الأوفر، والحظ الأفضل.

٩- في السورة عدة أساليب، منها: الأمر، والنداء، والنفي، واستخدام الجملة الفعلية، واستخدام الفعل المضارع، واسم الفاعل، والدلالة علىٰ الحال، والدلالة علىٰ الاستقبال، وأسلوب التقديم والتأخير، وغيرها من الأساليب التي اجتمعت في سورة عدد آيها (٦) آيات!

١٠- وفي السورة بيان لشجاعة النَّبي ﷺ، حيث خاطبهم بما يكرهون، وتبرأ منهم، ولم يخش أحدًا إلا الله الذي عصمه من شرهم ومكرهم.

تلك عشرة كاملة، وإن أردت بيانًا وزيادة زدناك، والله يؤتي فهم كتابه من يشاء، ويفتح عليه بما شاء.

*** مراجع إثرائية:**

١- إعجاز القرآن بين ابن تيمية والباقلاني، د. محمد العواجي، ط. دار المنهاج.

٢- كتب الدكتور فاضل السامرائي، ط. دار ابن كثير.

٣- أسرار البلاغة القرآنية في سورة (تبت يد أبي لهب)، د. محمود توفيق سعد، ط. مكتبة وهبة.

هل في القرآن ما يسمى بالإعجاز العلمي؟

لا شك أن القرآن الكريم جاء بما يعجز البشر عن الإتيان بمثله، وما يسمىٰ الآن «الإعجاز العلمي» بصورته الحالية، فيه خللٌ كبير من الناحية الشرعية، ومن الناحية التجريبية كذلك، وأكثر التفسير الواقع بالإعجاز العلمي = جهلٌ وتخرص، وعدم مراعاة لحقوق السلف وتفسيرهم مع الخلل الشديد في تطبيق العلم التجريبي علىٰ نصوص الوحي.

والحاصل: أننا نثبت أصل الإعجاز العلمي، لكننا نحذر من الإسراف المغالي في حمل الآية علىٰ مكتشف أو نظرية أو ما يدعىٰ أنه (علمي)، ثم إنَّ ما ثبت، وهو قليل جدًّا، ليس مركزيًّا في الاحتجاج القرآني علىٰ الإعجاز.

ومن الخلل الموجود عندهم تصحيح بعض الموضوعات والأحاديث الضعيفة جدًّا لكي تقوىٰ حجتهم، ومن العجب أنهم يقولون إنَّ تضعيف العلماء لها، إنَّما حصل لأجل عدم علمهم بالمكتشف الجديد!!

ولو تأمَّلت أكثر الذين اهتدوا بسبب الكتاب، ستجد أنهم لا يذكرون (الإعجاز العلمي) إلا علىٰ سبيل الندرة!، بل بعضهم يهتدي بمجرد السماع، وبعضهم بفهم المعاني، وأسباب كثيرة ليس الإعجاز منها!

وكما لا يرضىٰ أَهْل الإعجاز العلمي بما عند المفسرين من تفسير كل ظواهر الكون التي أثبت البحث التجريبي المعاصر خطأها، فإنَّ المفسرين لا يرضون لكل واحد من الباحثين التجريبيين أن يوافق بين البحث التجريبي وما ورد في القرآن.

ونسوق نصًّا للعلامة د. محمد دراز، يقول فيه: «القرآن في دعوته إلىٰ الإيمان والفضيلة، لا يسوق الدروس من التعاليم الدينية والأحداث الجارية وحدها، وإنما يستخدم في هذا الشأن الحقائق الكونية الدائمة، ويدعو عقولنا إلىٰ تأمل قوانينها الثابتة، لا بغرض دراستها وفهمها في ذاتها فحسب، وإنما لأنها تذكر بالخالق الحكيم القدير»، ويقول: «دفع الحماس بعض المفسرين المحدثين إلىٰ المبالغة في استخدام هذه الطريقة التوفيقية لصالح القرآن، بحيث أصبحت خطرًا علىٰ الإيمان ذاته؛ لأنها إما أن تقلل من الاعتماد علىٰ معنىٰ النص باستنطاقه ما لا تحتمله ألفاظه وجمله، وإما أن تُعوِّل أكثر مما يجب علىٰ آراء العلماء وحتىٰ علىٰ افتراضاتهم المتناقضة أو التي يَصعُب التحقق من صحتها، وبعد أن نستبعد هذه المبالغات عن البحث، نرىٰ أنَّ من مقتضيات الإيمان التي لا غنىٰ عنها أن نضاهي الحقائق الفورية التي نجدها في القرآن مع نتائج العلماء المنهجية البطيئة».

وانظر مقالة: (﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ [الطارق: ٧] بين دعاوىٰ الإشكال والاقتباس والإعجاز العلمي!)، د. حسام الدين حامد لتتبين منهج التعامل مع النصوص المتعلقة بالإعجاز العلمي.

ومن الكتب التي يمكن الولوج إلىٰ الموضوع من خلالها:

١- الإعجاز العلمي إلىٰ أين؟، د. مساعد الطيار.

٢- منهج الاستدلال بالمكتشفات العلمية علىٰ النبوة والربوبية، د. سعود العريفي.

٣- التفسير العلمي التجريبي، د. عادل الشدي.

٤- النظريات العلمية الحديثة، د. حسن الأسمري.

٥- الإعجاز العلمي في القرآن الكريم عرض وتقويم، د. زاهر الشهري.

هل في القرآن ما يسمى بالإعجاز العددي؟

سأجيب عن السؤال في عدة نقاط لئلا يتشتَّت الكلام:

١- البحث في العدد وأسراره له سلف من فعل الصحابة والأئمة، وهو - وإن كان قليلًا- إلا أنه لم يكن متكلفًا، ودلالة الآيات عليه ظاهرة.

٢- ظهر التكلف فيما سمي متأخرًا بالإعجاز العددي، وبدا هذا التكلف عند من تزعم هذا الأمر، واتخذته بعض الفرق الباطنية ذريعة وسندًا لآرائهم وضلالاتهم.

٣- افتقر هذا النوع من الدراسات إلىٰ المنهجية العلمية، ووقع الخبط والخلط فيه ظاهرًا بين من يدعون البحث فيه، ولا أَدَلَّ علىٰ ذلك من تخطئة بعضهم بعضًا في قضايا كثيرة، من أبرزها: قضية الحادي عشر من سبتمبر، وعلاقة سورة التوبة بها!.

٤- لم ينتبه من تكلم في الإعجاز عمومًا إلىٰ كون القرآن كتاب هداية، وإن شئت فارجع إلىٰ كتاب الشيخ مساعد الطيار في الإعجاز ففيه إشارات نفيسة.

٥- الإعجاز العددي ليس من متين العلم، وإنما هو من باب اللطائف والملح.

كأن يقول قائل: «إنَّ من اللطائف في سورة (الكوثر) أن عدد الكلمات الظاهرة في السورة عشر كلمات، وهذا يوافق اليوم العاشر من شهر الحج (شهر ذي الحجة)، وهذا من لطائف السورة، لكنه لا يدخل في حد الإعجاز، وليس من متين العلم، والله أعلم».

وأخيرًا، **فبدراسة كثير من الكتب التي اهتمت بهذا اللون، يمكننا القول: إنَّ هذه الفكرة تقوم باعتماد شروط توجيهية حينًا، وانتقائية حينًا آخر، من أجل إثبات صحة وجهة نظر بشكل يسوق القارئ إلىٰ النتائج المحددة سلفًا**، وقد أدت هذه الشروط التوجيهية أحيانًا إلىٰ الخروج علىٰ ما هو ثابت بإجماع الأمة، كمخالفة الرسم العثماني للمصاحف، وإلىٰ اعتماد رسم بعض الكلمات كما وردت في أحد المصاحف دون الأخذ بعين الاعتبار رسمها في المصاحف الأخرىٰ، وأدت كذلك إلىٰ مخالفة مبادئ اللغة العربية من حيث تحديد مرادفات الكلمات وأضدادها، إلىٰ آخر التخبط والاختلاف الذي جر إليه زعم وجود الإعجاز العددي بهذه الصورة المعاصرة، ولذا ننصح بالابتعاد عنه.

مثال للخطأ والتحكم في مسألة الإعجاز العددي:

قال أحدهم: «ورد اليوم مفردًا (٣٦٥) مرة بعدد أيام السنة».

وإذا ما نظرنا فيما جمع وجدناه جمع لفظي (اليوم) و(يومًا)، وترك (يومكم)، (يومهم)، (يومئذ)؛ لأنه لو فعل لاختلف الحساب والعد.

رابعًا:

التفسير .. التدبر .. التأثر

﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾
[سُورَةُ صٓ: ٢٩]

هل يحق لكل أحد أن يفسر القرآن، وما الفرق بين التفسير والتدبر؟

هذا السؤال من أهم الأسئلة التي ينبغي التوقُّف عندها، ولأجل ذلك؛ سأحاول الإجابة عليه بصورة واضحة، ولا بأس إن طالت الإجابة قليلًا، فأقول:

التفسير هو «بيان معاني القرآن العظيم»، وهذا البيان إما أن يصل إليه المفسر اجتهادًا، وإما أن يصل إليه تقليدًا.

والاجتهاد علىٰ قسمين:

١- الاجتهاد في بيان المعنىٰ المراد من الآية، وأئمة المجتهدين هم الحجة من الصحابة والتابعين وأتباعهم.

٢- أن يجتهد في التخيُّر من أقوال المجتهدين السابقين، أو بناء الأقوال علىٰ أقوالهم، وهم علىٰ طبقات شتىٰ، ومن أجلِّهم: الإمام ابن جرير، وابن عطية، وشيخ الإسلام ابن تيمية، وكثير غيرهم.

وتكاد كلمة العلماء تتفق علىٰ أهمية علم التفسير، وأنَّه من أعوص العلوم، ويقصدون بذلك حقِيقةَ كَيفِيَّة الوصولِ للمعنىٰ من الآيات، وأنَّه يحتاج إلىٰ آلات قد لا تتيسر للإنسان إلا بجهد جهيد.

فالتفسير علم عظيم، خطير، جليل، وهو من أعوص علوم الشريعة، لا كما يُظَن، ومُتعَلَّقُه كلام الله تعالىٰ، وهو شرح له وبيان عن معانيه وأحكامه، قدر الطاقة البشرية.

ومن ثَمَّ فإنَّ مسؤوليته عظيمة، والكلام فيه بغير علم كاف وتحقيق تام = من الافتراء علىٰ الله، والقول عليه بغير علم، ولذا كان كثير من السلف، أصحاب الفهوم الصحيحة، والألسن الفصيحة، يتورعون عن الكلام فيه بحرف، ويقولون: الله أعلم بما قال، وما عندهم من العلم في القرآن أعظم مما عند أكبر كابر في الخلف.

وكثير من الناس يظن أن التفسير مجرد (تأليف)، وكتابة إنشاء حلوة حول الآيات، كتفسير نص شعري، ولربما سماه تأملًا، أو خواطر، وغير ذلك، ولا يغني هذا عن التبِعَة المذكورة.

أما التدبر فأقرب ما يمكن أن يقال في تعريفه، أنه «تأمل القرآن بقصد الاتعاظ والامتثال»، أو «الوقوف مع الآيات والتأمل فيها، والتفاعل معها؛ للانتفاع والامتثال».

وهذا التدبر لا بد أن يسبقه فهم للمعنىٰ المراد من الآية، إذ محل التدبر مدلولات الآيات.

وعليه، **فيمكن التفريق بين التدبر والتفسير من عدة وجوه:**

١- أنَّ التفسير هو كشف المعنىٰ المراد في الآيات، والتدبر هو ما وراء ذلك من إدراك مغزىٰ الآيات ومقاصدها، واستخراج دلالاتها وهداياتها، والتفاعل معها، واعتقاد ما دلت عليه وامتثاله.

٢- أنَّ التدبر أُمر به عامة الناس للانتفاع بالقرآن والاهتداء به، ولذلك خوطب به ابتداءً الكفار في آيات التدبر، والناس فيه درجات بحسب رسُوخ العلم والإيمان وقوة التفاعل والتأثر.

وأما التفسير فمأمور به بحسب الحاجة إليه لفهم كتاب الله تعالىٰ بحسب الطاقة البشرية، والناس فيه علىٰ درجات أيضًا.

٣- أنَّ التدبر لا يحتاج إلىٰ شروط إلا فهم المعنىٰ العام مع حسن القصد وصدق الطلب، ولذلك قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القَمَر: ١٧]، أمَّا التفسير فله شروط ذكرها العلماء، لأنه من القول علىٰ الله، ولذا تورع عنه بعض السلف.

ومما ينبغي التأكيد عليه: أن يُعلم أنَّ الناس علىٰ درجات متفاوتة في التدبر بحسب آلاتهم وإمكاناتهم، فليس تدبر العالم المتبحر في الشريعة كتدبر العامي، ولكل درجات، والله يهدي من يشاء إلىٰ صراطٍ مستقيم.

علىٰ أن كثيرًا من الناس قد يتجرأ علىٰ كتاب الله تعالىٰ فيفسره بمعهود قومه، أو بما يهجم علىٰ خاطره من المعاني، وقد يسمي ذلك (الخواطر أو التأملات أو التدبر أو غير ذلك)، وهذا من الخطأ ومجانبة للصواب.

فلا بد من العلم أنَّ الله تعالىٰ حين شرع التدبر للناس لم يشرع لهم أن يتجرؤوا علىٰ كتابه، بل هذا أمر لهم بتحصيل الآلة المعينة علىٰ تدبر القرآن.

والتأثُّر بالقرآن يحصل للمتدبر، وقد لا يحتاج الإنسان لكي يتأثر بالقرآن إلىٰ تأمل عقلي، أو حتىٰ إلىٰ معرفة عميقة بالدلالات، بل إنَّ بعض المشركين، وبعض الأعاجم يقع عنده من التأثر بالقرآن مع عدم معرفة المعنىٰ، إذ للقرآن سطوة علىٰ النفوس!

تنبيه مهم:

هناك فرقٌ بين التفسير والمعلومات الموجودة في كتب التفسير، **فليس كل معلومة موجودة في كتب التفسير هي من صلب علم التفسير**، إذ كل علم له بالقرآن تعلق، وقد يستطرد المفسر في علم برع فيه، فيتكلم عليه في سياقات كلامه عن الآيات، وقد يذكر بعض اللطائف والفوائد وغير ذلك.

وهذه اللطائف والفوائد هي في الحقيقة نوع من التدبر للقرآن المجيد.

*** مراجع إثرائية:**

١- أول تدبر، د. نايف الزهراني.

٢- القواعد والأصول، وتطبيقات التدبر، د. خالد السبت، ط. الحضارة.

٣- الخلاصة في تدبر القرآن، د. خالد السبت، ط. الحضارة.

نسمع عن لون من ألوان التفسير، وهو: (التفسير الإشاري) فما معناه، وما حكمه؟

مصطلح التفسير الإشاري يطلق علىٰ معانٍ، منها حقٌ، ومنها باطل.

فأما الحق الذي فيه، فهو (**تأويل القرآن بغير ظاهره لإشارة خفية تظهر لأهل العلم بالقرآن، ويمكن الجمع بينها وبين الظاهر المراد**).

وأما الباطل الذي فيه، وقد يسمىٰ: (التفسير الباطني/الصوفي/الإشاري)، فيخضع لمبدأ حاكم، وهو:

١- استبدال مبدأ الدلالة (اللغوية) الظاهرة بمبدأ الدلالة (الرمزية) الباطنة.

٢- استبدال مبدأ (عمومية إمكان معرفة المعنىٰ) -من خلال الاعتماد علىٰ بيان قائل النص (الله)، أو مبلغه (الرسول)- بمبدأ (خصوصية معرفة المعنىٰ) عن طريق الاعتماد علىٰ علم اختص به أناس دون غيرهم، وهم:

إمَّا الأئمة المعصومون من (آل البيت)، كما عند الشيعة الإمامية أو الإسماعيلية.

أو الأولياء الذين يفتح الله عليهم، ويكشف لهم هذه المعاني الباطنة -كما عند الصوفية- عن طريق ما يُسمىٰ عندهم بـ (الكشف).

ولمزيد من المعرفة بهذه الطوائف، والمبادئ التي اعتمدوا عليها، يرجىٰ مراجعة كتاب: (العقائدية، وتفسير النص القرآني)، للباحث الأستاذ: ياسر المطرفي.

* وتعود كثير من التفاسير الإشارية وتفاسير الوعاظ وما يذكره بعض المعاصرين من فوائد الآيات = إلىٰ الاستنباط.

وهذه الفوائد والإشارات علىٰ قسمين:

القسم الأول: أن تكون هذه الفوائد والإشارات صحيحة بذاتها، لا تخالف أمرًا من أمور الشريعة، وهي علىٰ قسمين من حيث ربطها بالآية:

أولًا: أن يكون الربط صحيحًا؛ أي: أن يكون بين الفائدة المذكورة والآية ارتباط بوجه ما.

ثانيا: أن يكون الربط بالآية غير صحيح، فالكلام باستقلاله صحيح، ولكن ربطه بالآية خطأ؛ لأن الآية لا تدل عليه.

القسم الثاني: أن تكون هذه الفوائد والإشارات غير صحيحة بذاتها، لأنها تحمل خطأ ما، وفي هذه الحال فإنَّ ربطها بالآي خطأٌ.

وهذا النوع من التفسير هو نوع من الاستنباط لا يقبل إلَّا بشروط ذكرها المفسرون لا تجد تفاسير الصحابة خارجة عنها، والشروط هي:

١- أن لا يُناقض معنىٰ الآية.

٢- وأن يكون معنىٰ صحيحًا في نفسه.

٣- وأن يكون في اللفظ إشعارٌ به.

٤- وأن يكون بينه وبين معنىٰ الآية ارتباط وتلازم.

فإذا اجتمعت هذه الأمور الأربعة كان استنباطًا حسنًا.

وعند محاكمة تلك الاستنباطات إلىٰ هذه الشروط نجدها تتوافق مع المنقول من تفسيرات الصحابة دون توافقها مع المنقول من التفاسير الباطنية المنقولة عن الشيعة أو الإسماعيلية أو بعض المتصوفة.

وبمعنىٰ آخر: إنَّ طريق الوصول إلىٰ الباطن في تفسير الصحابة والتابعين يكون من خلال الظاهر عن طريق دلالة التمثيل، أو دلالة الإيحاء، أو دلالات اللغة، أو المقام، أو السياق بحيث يظهر للمطلع عليه تناسبٌ بين الظاهر والباطن الذي آل إليه.

بخلاف التأويل عند الباطنية الذي لا يُتَوَصَّل إليه من خلال الظاهر، بل من خلال الإمام المعصوم أو الولي المكاشف، ولذلك لا تناسب بين الظاهر والباطن الذي آل إليه ألبتة!

ولكن هذا لا يعني عدم وجود تفسيرات إشارية عند هؤلاء هي من جنس ما عند الصحابة، فهذا قد يوجد كما يوجد عند غيرهم، لكن الشأن فيما هو من خصائص تفسيرهم الذي لا وجود له عند الصحابة، فهذا النوع يحكم ببطلانه.

ومن أمثلة التفسير الإشاري عند الصحابة، ما ورد عن ابن عباس، قال: «كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر، فقال بعضهم: لم تدخل هذا الفتىٰ معنا ولنا أبناء مثله؟ فقال: «إنه ممن قد علمتم» قال: فدعاهم ذات يوم ودعاني معهم قال: وما رأيته دعاني يومئذ إلا ليريهم مني، فقال: ما تقولون في ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا﴾ [النَّصر: ١-٢] حتىٰ ختم السورة، فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا، وقال بعضهم: لا ندري، أو لم يقل بعضهم شيئا، فقال لي: يا ابن عباس، أكذاك

تقول؟ قلت: لا، قال: فما تقول؟ قلت: هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه الله له: إذا جاء نصر الله والفتح فتح مكة، فذاك علامة أجلك: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر: ٣]، قال عمر: (ما أعلم منها إلا ما تعلم»)، [رواه البخاري: (٤٢٩٤)].

ومن أمثلته: الربط بين فهم القرآن وطهارة القلوب في قوله تعالىٰ: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة: ٧٩]، قال البخاري (ت: ٢٥٦) رضي الله عنه: «﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ﴾ [الواقعة: ٧٩] لا يجد طعمه ونفعه إلا من آمن بالقرآن، ولا يحمله بحقه إلا الموقن»، [صحيح البخاري: (٩/ ١٥٥)].

ففهم البخاري (ت: ٢٥٦) من إشارة الآية، أنَّه «لا ينال معانيه ويفهمه كما ينبغي إلا القلوب الطاهرة، وأنَّ القلوب النجسة ممنوعة من فهمه، مصروفة عنه. فتأمَّل هذا النسب القريب وعقدَ هذه الأخوة بين هذه المعاني وبين المعنىٰ الظاهر من الآية، واستنباطَ هذه المعاني كلِّها من الآية بأحسن وجه وأبينه»، [أعلام الموقعين عن رب العالمين: (١/ ٤٥١)].

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨): « . . فهذا من نوع القياس فالذي تسميه الفقهاء قياسًا هو الذي تسميه الصوفية إشارة.

وهذا ينقسم إلىٰ: صحيح وباطل، كانقسام القياس إلىٰ ذلك.

فمن سمع قول الله تعالىٰ: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة: ٧٩] وقال: إنه اللوح المحفوظ، أو المصحف فقال: كما أن اللوح المحفوظ الذي كتب فيه حروف القرآن لا يمسه إلا بدن طاهر، فمعاني القرآن لا يذوقها إلا القلوب الطاهرة، وهي قلوب المتقين = كان هذا معنىٰ صحيحًا واعتبارًا صحيحًا، ولهذا يروىٰ هذا عن طائفة من السلف»، [مجموع الفتاوىٰ: (١٣/ ٢٤٢)].

ما المراد بالأحرف المقطعة،
وما قصة تفسير القرآن بالآرامية؟

الأحرف المقطعة: أحرف هجائية (**لا معنىٰ لها، ومغزاها تحدي العرب**)، وإخبارهم أن القرآن مؤلف من جنس هذه الحروف، ولها هدف آخر، وهو: (**التَّشويق وإثارة الانتباه**).

والقرآن أَنزله الله بلسان عربي مبين، وظل العلماء يفسرونه عبر مقتضىٰ لغة العرب جيلًا بعد جيل، حتىٰ طل علينا في هذه العصور من يزعم أن القرآن لا يفسر إلا عبر لغة أخرىٰ هي: الآرامية، وهي إحدىٰ اللغات السامية، والتي كانت منتشرة في فترة قديمة.

وهذا الزعم، يقتضي عدة أمور، تدعونا عند تأملها إلىٰ الانتهاء إلىٰ بطلانها، ومن مقتضياتها:

١- أنَّ النبيَّ ﷺوصحابته لم يفهموا القرآن علىٰ وجهه، ولا عقلوا مراد الله تعالىٰ منه، ومن باب أولىٰ من جاء بعدهم من المسلمين.

٢- أنَّ هذا التراث الإسلامي الضخم من تفسير وفقه وحديث وأصول وغيرها كله لا قيمة له! أو علىٰ الأقل هو محل الشك والارتياب لأن أصحابه

الذين أنتجوه واعتمدوا في أكثره علىٰ القرآن الكريم لم يفهموا مراد الله ولا عرفوا مقصوده، فكيف لهم أن يستنبطوا منه هذه الأحكام والمسائل وهم لم يعرفوا الآرامية، وهي الشرط عند أصحاب هذا الزعم لفهم القرآن؟ وكيف سنثق بتراثنا الفقهي المبني علىٰ الكتاب والسنةِ إذا كان أعلامُهُ لم يفهموا كلام الله؛ لأننا نعرفُ أن أكثرهم لم يدرس الآرامية ولم يشتغل بها.

٣- ويقتضي هذا الزعمُ أن دارس الآرامية يفهم القرآن أكثر من دارس العربية المختص بها! وعندئذٍ لا معنىٰ لقوله تعالىٰ: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ﴾ [الزُّمَر: ٢٨]!! ولا معنىٰ لأحد عشر آيةً نصتْ علىٰ عربية القرآن! بل يصدقُ عليه حينئذٍ أنه قرآن آراميٌّ غير ذي عوج!

٤- ويقتضي هذا الزعم أن نتحير في التعامل مع حديث النَّبي ﷺ، فما الذي سنفعله بالحديث النبويِّ الذي جاء بذات الألفاظ الموجودة في القرآن، هل سنزعمُ أيضًا أنه ذو جذور آرامية ونفسره علىٰ هذه الوجه؟ أم سنجري الحديث النبوي علىٰ مقتضىٰ العربية ونقتصر في التفسير الآرامي علىٰ القرآن الكريم فيكون لدينا معنيان متعارضانِ للفظِ الواحدِ؟ الحور العين مثلًا في الحديث النبوي هل هي العنب كذلك كما يزعمه أصحابُ المدخل الآرامي؟ وهل نتكلف تفسيرها بهذا؟ وماذا عن قوله ﷺ: (له سبعون من الحور العين)؟ هل هي سبعون حبة عنب؟ أم سبعون عنقودًا؟ أم سبعون جفنة؟ وإذا كانت سبعين عنبة . . فماذا عمن نُصَّ أنَّ له اثنتين من الحور العين؟ هل سيكون نصيبه في الجنة عنبتينِ مثلًا؟ وهل هذا غايةُ نعيمه؟! وكيف نصنع بقوله ﷺ: (زوجتان من الحور العين)، زوجتانِ من العنب مثلًا؟ وقوله في صفة الحور العين: (ولنصيفها علىٰ رأسها خير من الدنيا وما فيها)، والنصيف الخمار، كيف نفهمه؟ وهل تلبس العنبةُ خمارًا ثم يكون خمارها خيرًا من الدنيا وما فيها؟

هكذا يذهب بنا المدخل الآرامي إلىٰ حالة من التشظي والتفكك بين الوحيين، أو حالة من التكلف المعيب الذي لا يقبله عقل ولا منطق.

هذه كلها مقتضياتٌ مباشرةٌ، ولوازم عقلية لا فكاكَ منها، فإذا أضفتَ إلىٰ ذلك إمكانيةَ أن يكون مدخلًا كما أسلفنا للطعنِ والتشكيك في كتابِ الله فإنَّ الأمر يعظُمُ عندك ويكبُرُ.

ويمكن الرجوع لسلاسل د. سامي عامري، في بيان تلك المسألة، وهي بعنوان: (سلسلة: شبهة القراءة السريانية للقرآن . . تزييف التاريخ وتحريف اللغة)، (شبهات وسائل التواصل حول الإسلام ومقدساته).

ومقال الدكتور عادل بانعمة: **(القرآن الكريم والمدخل الآرامي، تعليقات حول تفسير القرآنِ العربيّ بمقتضىٰ اللغةِ الآرامية)**، ومقال: (نقد دعوىٰ تفسير القرآن باللغة الآرامية، ردود متفرقة في مكان واحد).

لماذا أتدبر القرآن، وما الطريق إليه؟

إنَّ الله يقول جوابًا عن مثل هذا السؤال، ببيان عام للناس جميعًا، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يُونُس: ٥٧].

إنَّنا نريد من القرآن = الحياة!

فلا حياة للقلب، ولا سلامة له بغير الإقبال علىٰ هذا الكتاب المجيد، إنَّ للمسلم أوصافًا يستمدها بحسب تعلقه بالقرآن، فله من المجد، والحفظ، والرحمة، والهدىٰ، والذكر، بحسب تعلقه بالقرآن تلاوة وفهمًا وعملًا، وقد وعد ربنا الأكرم من أقبل علىٰ كتابه تعرضًا لنفحاته بالكرم الجزيل، والأجر العميم.

ففي القرآن الشفاء من الأدواء القلبية المهلكة في العاجل والآجل، ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسرَاء: ٨٢]، ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [سُورَة قٓ: ٣٧].

وفي التعلق بالقرآن يجد الإنسان البصيرة التي هي النور الذي يبصر به مواضع قدمه، ومن يضلل الله فما له من هاد، ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا﴾ [النِّسَاء: ١٠٥].

وفي القرآن يحصل القارئ السكينة التي تنزل علىٰ القلب بردًا وسلامًا، لتطفئ النار التي تشتعل، لأنه يرىٰ في القرآن مصارع الظالمين، وإن طال الزمان، ومهلكهم الذي جعل الله له موعدًا.

إنَّه لا يحدثك عن القرآن وما يفعله في النفوس، مثل القرآن، ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ١٠٢].

﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الرعد: ١٩].

أما التدبر، فهو **تجربة تخوضها، ونعيم تتذوقه**، ومهما أخبرت عنه، فلا بد أن تحياه بنفسك، إنه يبدأ من معرفة مراد الله تعالىٰ بكلامه، بفهم الكلام أولا، وبتثوير هذه المعاني.

إنَّ القرآن كالتمرة كلما زدتها مضغا أعطتك حلاوة، والقرآن يحلو كلما كررته، ولذا ينبغي عليك أن تزيد تكراره، فإنَّ عجائبه لا تنقضي، ولا يخلق علىٰ كثرة الرد.

ليس للتدبر دروب وعرة، ولا مسالك موحشة، لأن الله يسر القرآن للناس يأخذ كل منهم بمقدار استعداده، لكن أحدًا لا يجالس القرآن إلا خرج منه بشيء، ولا تزال تخرج بالشيء تلو الشيء حتىٰ تقف علىٰ ما يدهش الألباب، ويأخذ بالنفوس.

افهم المعنىٰ، وكرر الآية، ولا تستعجل، بل ازدد في الفهم، وابحث بصدق عن دواء دائك، وشفاء نفسك = فإنك لاقيه.

وآفة كثير من الناس انشغالهم بالحديث حول التدبر عن التدبر نفسه، فانشغلوا بالوسيلة عن الغاية، وببنيات الطريق عن واضحاته.

أقبل علىٰ القرآن متأملًا، وباحثًا عن مرادك، وتلمسه = تجده.

إنَّ في القرآن الكفاية، ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [العنكبوت: ٥١]، اللهم اكفنا بالقرآن، ولا تسلبنا نعمته، واجعل لنا حظا منه!

ولمن يحب الخطوات العملية:

١- لا بد من تهيئة نفسك لتدبر القرآن، وذلك بمحبة القرآن، وتعظيمه، واستشعار الافتقار لهداياته.

٢- كن مع القرآن دائمًا، تلاوة، واستماعًا، وبحثًا عن الأسئلة التي تدور في ذهنك فيه.

٣- افهم المعنىٰ من كتب التفسير، فشرط التدبر فهم المعنىٰ.

٤- استعن بالكتب التي تعينك علىٰ إدراك بعض اللطائف الموجودة في الآيات.

٥- لا تمل من إعادة وتكرار التلاوة مرة بعد أخرىٰ.

ويمكن للمتدبر أن يحدد موضوعًا، ويفتش عنه في القرآن، أو يبحث عن هداية القرآن في مسألة، أو قضية، وسيجد خيرًا عظيمًا.

هل التدبر خاص بالآيات
التي تتكلم عن الدار الآخرة،
وهل يمكن أن يتدبر الإنسان آيات الأحكام؟

اعلم -نفعك الله بما تعلم- أنَّ **القرآن نور كله، وهداية كله، ورحمة كله، وهو كتاب عظيم في حديثه عن الله، واليوم الآخر، وفي حديثه عن التشريع.**

وليس التدبر أن تدمع عينك، وأن يحضر قلبك عند آيات الآخرة فحسب، بل إنَّ حضور القلب، وانفعال الجوارح بالعمل بأحكام الله وشرائعه، باب عظيم من أبواب التدبر، من وَلَجه نال خيري الدنيا والآخرة.

وتأمل -مثلًا- ختام آيات المواريث، والآيات الأولىٰ من سورة النساء، تأمل خواتيم الآيات بالعظات الباهرات، والآيات النيرات علىٰ عظمة هذا الدين.

تأمَّل آية الميراث الأولىٰ، وختامها بقوله سبحانه: ﴿ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًاۚ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النِّسَاءِ: ١١]، وتأمَّل في أولئك الذين يتفننون في منع هذا أو ذاك من الميراث الذي جعله الله حقًّا له.

بل تأمَّل في آية هجر النساء بعد الوعظ، ثم يأتي الضرب في مرتبة متأخرة عنهما، وتختم الآية بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ [النساء: ٣٤]، عليٌ علىٰ من طغىٰ وجاوز الحد مطلع عليه، كبير لا يرضىٰ أن تُظلم المرأة ولا أن تضرب ضربًا مؤذيًا لها، وتأمل في الآية التي تليها، وختمه لها باسمي العليم الخبير!

إنَّ القرآن عظيم في كل تفاصيله، جليل في كل مفرداته، يحتاج إلىٰ إقبال وفهم، مع إيمان وحسن تلقٍ، فإذا حصل ذلك أثمرت شجرة الإيمان في القلب، وآتت أُكْلَها بإذن ربها، وصار أصلها ثابت وفرعها في السماء.

وهذا غيضٌ من فيضٍ، وقطرةٌ من بحرِ العظمة في آيات الأحكام، وحسن نظمها وجلاله.

كيف أحب القرآن؟

بالإقبال عليه!

لا بد من القرب من القرآن بإزالة العوائق بينك وبينه، ولتتحايل علىٰ نفسك بالاستعانة بمشوقات القلب لكلام الرب.

القرآن نور، وهدىٰ، ورحمة، وموعظة.

القرآن حياة.

القرآن الروح التي تغذي الأرواح، فالأرواح دون القرآن في شقاءٍ وتعبٍ، ونكدٍ، وهمٍّ، بل هي فاقدة للحياة.

ولا يحدثك عن القرآن مثل القرآن = فأقبل عليه.

اسمع القرآن من قارئ تحب صوته.

واجتهد في الدعاء أن يجعل الله القرآن ربيع قلبك.

واستعن بما يعينك علىٰ الإقبال علىٰ القرآن دون الاستغراق في ذلك، فاقرأ: (الطريق إلىٰ القرآن، والمشوق إلىٰ القرآن)، واسمع محاضرات الشيخ فريد الأنصاري عن القرآن.

وأول طريق التصالح مع القرآن أن تتحايل علىٰ نفسك بالإكثار من تلاوة القرآن، تلاوة لا كالتلاوات السابقة، تلاوة لا تنتظر فيها موعدًا، تلاوة لا تنشغل فيها بغير القرآن، إنَّ القرآن كتاب عزيز لا بد أن تُعطِيه أنْفَس ما تملك من أوقات، فأقبل عليه وإياك أن تبخل، ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه!

إنَّ القرآن لهو بحق مشروع العمر، وبرنامج العبد في سيره إلىٰ الله حتىٰ يلقىٰ الله!

وما كان تنجيم القرآن، وتصريف آياته علىٰ مدىٰ ثلاث وعشرين سنةً، إلا خدمةً لهذا المقصد الرباني الحكيم!

إنَّ نور القرآن لا يمتد شعاعه إلىٰ الآخرين؛ إلا باشتعال قلب حامل كلماته، وتوهجه بحقائقه الإيمانية الملتهبة!

ما فائدة التعرض المتكرر للقرآن؟

القرآن . . كالبحر من أي النواحي أتيته!

لو أنزله الرحمن علىٰ جبل لرأيته خاشعًا متصدعًا من خشية الله.

ولا شك أنَّ التلاوة (اليومية) للقرآن تعطي القلب زادًا إيمانيًّا يجعل القلب في جاهزية مستمرة لتلقي حقائق الوحي نورًا يبدد الظلمات والران من القلب.

ففي التَّعرض المتكرر للقرآن فائدة عظيمة، لأنه يصادف أحوال القلب المختلفة.

فإذا صادف حال البلاء، أو النعمة، أو المرض، أو العافية، أو الغنىٰ، أو الفقر، أو الخوف، أو الأمن، أو التفكر في الآخرة، أو البعد عنها . . إلىٰ آخره؛ ووافقت قراءة التالي أو استماعه موضعًا من كتاب الله يتكلم عن تلك الحالة، أحدث ما لا يمكن وصفه!

إنَّ الارتباط بالقرآن يعطيك تميزًا عن بقية الخلق، لأن ارتباطك به يجعلك من أهل الله! كما قال رسول الله ﷺ: «أهل القرآن هم أهل الله، وخاصته» [رواه أحمد: (١٢٢٧٩)، والدارمي: (٣٣٦٩)، وابن ماجة: (٢١٥)، وإسناده حسن].

(أولئك أهل الله والصفوة الملا)

ومن المعلوم، أن الارتباط لا بد أن يكون عبر فهم القرآن والعمل به، وهما مقصود إنزاله للخلق، كما قال سبحانه: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤]، وقال سبحانه: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾ [طه: ١١٣].

وقد قال ﷻ: ﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾ [النمل: ٩١-٩٢].

هل من دلالة
على ما يمكن تتبعه وتدبره في القرآن؟

كثيرةٌ هي المشاريع القرآنية التي يمكن تتبعها وتدبرها، والانتفاع بالقرآن من خلالها، غير أني أنبهك علىٰ بعض المشاريع التي يمكن أن يجد فيها مريدٌ بُغيته.

١- ومن المشاريع: (مشروع المضغ).

قال بشر بن السري: «إنَّما الآية مثل التَّمرة كلما مضَغْتَها استَخرْجت حلاوتها» [البرهان في علوم القرآن: (١/ ٤٧١)].

إنَّ القرآن كالتمرة كلما زِدتها مضغًا أعطتك حلاوة، فجرِّب أن تأخذ آية من كتاب الله، أو سورة، وقلب هذه السورة، تعرَّف علىٰ معناها العام، ثم صلِّ بها، وتوسع فيما أنت بحاجة إلىٰ التوسع فيه من معانيها، ولاحظ المعاني المتكررة في السورة، وكررها مرة أخرىٰ.

إنَّ القرآن «لا تزيده تلاوته إلا حلاوة، ولا ترديده إلا محبة، ولا يزال غضًّا طريًّا، وغيره من الكلام، ولو بلغ في الحسن والبلاغة مبلغه؛ يُمل مع الترديد، ويُعَادىٰ إذا أعيد، لأنَّ إعادة الحديث علىٰ القلب أثقل من الحديد.

وكتابنا بحمد الله يُستلذ به في الخلوات، ويُؤنس به في الأزمات» [معترك الأقران: (١/ ١٨٤)].

٢- ومنها: مشروع (ختمة موضوعية).

خذ موضوعًا وتتبعه في القرآن، لاحظ -مثلًا- كيف تحدث القرآن عن الدنيا، وكيف تعرض القرآن لحل الإشكالية في الموازنة بين الدنيا والدين.

في الأزمات التي يحياها الناس، تأمل كيف عالج القرآن المجيد هلع الناس، وجزعهم، ﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [الأحزاب: ١٦-١٧].

٣- ومنها: مشروع (تَتَبُّع آية).

اختر آية من آيات القرآن، وتتبع أقوال أهل التفسير فيها، اقرأ كل ما تعرفه من التفاسير، ولو وصلت مائة تفسير، ثم سَلِ الله الفتح.

أَمَا كان ابن تيمية (ت: ٧٢٨) يقول: «ربما طالعت علىٰ الآية الواحدة نحو مئة تفسير! ثم أسأل الله الفهم وأقول: يا معلم إبراهيم.

ويذكر قصة معاذ بن جبل، وقوله لمالك بن يخامر لما بكىٰ عند موته، وقال: أنا لا أبكي علىٰ دنيا كنت أصيبها منك، ولكن أبكي علىٰ العلم والإيمان اللذين كنت أتعلمهما منك.

فقال: إنَّ العلم والإيمان مكانهما، من ابتغاهما وجدهما، فاطلب العلم عند أربعةٍ وسمَّاهم، فقال: عند أبي الدرداء، وعبد الله بن مسعود، وسلمان الفارسي، وعبد الله بن سلام، فإن أعياك العلم عند هؤلاء؛ فليس هو في

الأرض، فاطلبه من معلِّم إبراهيم» [الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية خلال سبعة قرون: (٢٨٣)].

والتتبع (المعرفي) يستتبع أن تقوم بتلك الآية مرددًا إياها، مستخرجًا كنوزها، مستمتعًا بتلك الفوائد التي حصَّلتها.

عن أبي ذر، أن النَّبي ﷺ «قرأ هذه الآية فرددها حتىٰ أصبح: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [المَائِدَة: ١١٨]» [رواه أحمد: (٢١٣٨٨)].

وعن أبي سعيد الخدري «أنَّ رسول الله ﷺ ردَّدَ آية حتىٰ أصبح»، [رواه أحمد]: (١٨/ ١٣٧)].

وقال عبد الرحمن بن عجلان: «بت عند الربيع بن خثيم ذات ليلة فقام يصلي فمر بهذه الآية: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الجَاثِيَة: ٢١] الآية، فمكث ليلته حتىٰ أصبح ما جاوز هذه الآية إلىٰ غيرها ببكاء شديد» [فضائل القرآن، لأبي عبيد: (٢/ ١١٢)].

٤- ومنها: مشروع (ما تكرر).

ما تكرر من معاني القرآن، فإنَّ العناية بتدبره آكد، ولذا جعل الله الفاتحة أفضل سور القرآن، وهي التي تتكرر في كل ركعة.

وكان النَّبي ﷺ يكرر سورًا بعينها لما تحويه من معان جليلة، وفي الصلاة تكرر سور بعينها: **(الأعلىٰ - الغاشية - الكافرون - الإخلاص)**، فتأمَّلها، وأعطها مزيدًا من العناية.

وفي القرآن نفسه من القصص ما تكرر مما يدل علىٰ أهميته وجلالة قدره، كقصة الكليم موسىٰ عليه السلام.

فلتأخذ طرفًا من هذه المعاني، ولتُذِقْ قلبك حلاوة هذا الكتاب المجيد.

٥- ومنها: مشروع (علمتني قصة).

في تلاوتك لقصة إبراهيم عليه السلام تجد أن (القلب السليم) لم يُذكر إلا في قصته وحده دون سائر الأنبياء، لم لا يأخذك هذا الطَرَف لتتأمل قصة إبراهيم في القرآن كلها، لتستخرج منها كيف حصل إبراهيم الخليل عليه السلام علىٰ (**القلب السليم**).

(علمني أبي)، و(علمني موسىٰ)، سلسلتان للشيخ الكريم د. سلمان العودة، فيهما تتبع جميل، وتدبر رائع لقصتي نبي الله آدم وموسىٰ في القرآن الكريم، فاصنع كصنيعه.

٦- ومنها: مشروع (تأمُّل مثل).

الأمثال لا يعقلها إلا العالمون، فلم لا تحرص علىٰ تأمُّل أمثال الكتاب المجيد، هذا مثلٌ قرآني جليل، يتردد علىٰ مسامعنا كثيرًا، هل وقفت عنده يومًا متأملًا؟

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾ [إبراهيم: ٢٤-٢٦].

وكما قال الشيخ عبد القاهر (ت: ٤٧١) إنَّ «التمثيل إذا جاءَ في أعقاب المعاني أو بَرَزَتْ هي باختصار في مَعرِضه، ونُقِلت عن صُوَرها الأصلية إلىٰ صورته، كساها أُبَّهةً، وكَسَبها مَنْقَبةً، ورفع من أقدارها، وشَبَّ من نارها، وضاعف قُواها في تحريك النُّفوس لها، ودعا القُلوب إليها، واستثار لها من أقاصي الأفئدة صبابةً وكلَفًا، وقَسَر الطِّباع علىٰ أن تُعطيها محبَّة وشَغَفًا» [أسرار البلاغة: (١١٥)].

وإن شئت أن تنبهر بطرفٍ من تأمُّل العلماء للأمثال، فانظر ما كتبه الشمس ابن قيِّم الجوزية في كتابه (الأُبَّهة) «إعلام الموقعين عن رب العالمين».

٧- ومنها: (قفزة معرفية متعلقة بالقرآن).

مما يمكن لصاحب الهمة أن يفعله، أن يقفز قفزة معرفية تتعلق بالقرآن المجيد، كالانتهاء من جرد تفسير كامل للقرآن في وقت وجيز.

وكلٌ يأخذ من التفسير بحسب ما آتاه الله، فمنهم من يستفتح الطريق عبر تفسير مختصر، ومنهم من يتوسط، وللمنتهي شأنٌ يخصُّه، ألحقنا الله بمنازل السابقين!

تلك سبعةٌ كاملةٌ، وحَسْبنا السَّبعة، لأنهم قالوا: إنَّ (العَرَبَ تضَعُ التَّسْبيعَ مَوضِع التَّضْعِيفِ وَإِن جاوَزَ السَّبْعَ)، وفي القرآن العزيز: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البَقَرَة: ٢٦١]!

واعلم أنَّ «القرآن مشروع العمر، وبرنامج العبد في السير إلىٰ الله إلىٰ أن يلقىٰ الله، وليس المقصود أن تدرك الهدف كله، لكن يكفيك أن تموت وأنت علىٰ الطريق».

خامسًا:

حفظ القرآن .. وتجويده

«وأمَّا طلب حفظ القرآن: فهو مقدمٌ علىٰ كثير مما تسميه الناس علمًا، وهو إما باطل، أو قليل النفع.

وهو أيضًا مقدمٌ في التعلم في حق من يريد أن يتعلم علم الدين من الأصول والفروع، فإنَّ المشروع في حق مثل هذا في هذه الأوقات أن يبدأ بحفظ القرآن، فإنه أصل علوم الدين.

والمطلوب من القرآن هو فهم معانيه، والعمل به، فإن لم تكن هذه همة حافظه لم يكن من أهل العلم، والدين، والله سبحانه أعلم»

ابن تيمية

هل يجب على كل مسلم أن يحفظ القرآن؟

ليس من الصواب حمل الناس جميعًا علىٰ حفظ القرآن، ولا طلب العلم، وهكذا..، بل لا بد من توجيه المسلم لمعرفة فروض الأعيان عليه، وحفظ ما يقيم به صلاته من القرآن، مع إتقان تلاوته، والإتقان مهم جدًّا.

فإن وجد من نفسه همَّة، فليحفظ المفصل [(**من سورة ق أو الحجرات وحتىٰ ختام المصحف**)]، مع فهم المعنىٰ، ولا يتجاوز المفصل حتىٰ يفهم معناه.

وإنَّما يبدأ بالمفصل؛ لأنه يجمع أكثر معاني القرآن، وحفظه يسير علىٰ أغلب الناس، فسيجد من نفسه همةً لإكماله وبركة.

فإن فعل: انتقل إلىٰ حفظ سورتي (**البقرة وآل عمران**)، وقد قال أنس ﷺ: «كان الرجل إذا قرأ: البقرة، وآل عمران، جد فينا -يعني عظم-»، [رواه أحمد: ١٢٢١٥].

فإن حفظ سورتي (**البقرة وآل عمران**) فليحفظ السور التي ثبت **فضلها**، فباقي المصحف.

والذي أراه يدل علىٰ هذا الأصل: ما ذُكر عن محفوظ الصحابة من القرآن مع كونهم أحد أذهانًا، وأصفىٰ أفئدة، ومع ذلك فإنَّ كثيرًا منهم لم يحفظ القرآن المجيد كله.

وليُعلم: أن حفظ القرآن فرض كفاية علىٰ أهل الإسلام، وحافظ القرآن يرجىٰ أن يكون له من المنزلة -إن كان من أهل القرآن- ما ليس لغيره.

والقرآن محفوظ، وحافظ المحفوظ محفوظ، مع ما ثبت من فضل حُفَّاظ القرآن، وكرامتهم عند الله، ليس هم فحسب، وإنما هم وآباؤهم، جعلنا الله من أهل القرآن.

قال الإمام السخاوي (ت: ٦٤٣):

وبعد فالقرآن نورٌ مشرقُ حاملُه مُسَددٌ موفَّقُ
وجاءَ عن سيدِنا محمد ذي الفضْلِ والفخر الرَّسولِ المرشد
في فضلِ حفَّاظ القران المهَرَة أنَّهمُ معَ الكرامِ السَّفَرة
لأنَّه في صحفٍ مُطَهَّرة وهْيَ بأيدِيهِم كما قد ذَكَرَه
فالحافظُ المتقنُ قد ساوىٰ المَلَك فاستعمِلِ الجِدَّ فمن جَدَّ مَلَكْ

هل تجب قراءة القرآن بالتجويد على كل مسلم؟

تعلُّم أحكام القراءة والتجويد التي تحفَظ اللسان من اللحن المفسد للمعنىٰ واجب علىٰ كل مسلمٍ ومسلمةٍ، كي يقرأَ الفاتحة وسائر سور القرآن الكريم قراءة صحيحة في مقتضىٰ اللغة العربية الأصلية.

أما تعلم الأحكام التحسينية التي تتعلق بصفات الحروف ومخارجها وأحكامها التي لا يُؤدي الجهل بها إلىٰ إفساد المعنىٰ واللحن الجلي فهو تعلم مندوب ومستحب، وليس بواجب.

وقد أمر الله ﷻ بتدبر القرآن وفهم معانيه، وحثَّ نبيه ﷺ علىٰ الإكثار من تلاوته لتحقيق هذا الغرض، وهذا الأخذ للقرآن تلاوة أو حفظًا أو تدبرًا لا يتهيأ علىٰ الوجه المأمور به لمن قرأ قراءة ملحونة مختلة، وفاعل هذا خارج بالقرآن عن سننه.

فضبط التلاوة سببٌ للتدبر وفهم القرآن، كما أنه سبب للخشوع عند تلاوته وانتفاع القلب به، وكل هذا مأمور به مطلوب إما وجوبًا وإما ندبًا، فضبط التلاوة يأخذ حكم ما كان سببًا فيه.

وإذا كان اللحن منفيًّا في الأصل عن القرآن، فإضافته إليه من باب تحريف الكلم عن مواضعه.

وقراءة القرآن بغير التجويد أو بغير النحو عدول به عن المسموع من رسول الله ﷺ، وخروج به عن عربيته، وهذا لا يحل.

والقراءة بالتجويد تتم بمراعاة القواعد التي وضعت من قبل الأئمة القراء، وصنفت فيها المصنفات، مع الاستعانة ما أمكن بأخذها عن صاحب دراية ومعرفة من القراء المتقنين للتلاوة بتلك القواعد، ولا يجوز للمسلم أن يفرط في ذلك ما وجد إليه سبيلًا، فإن عجز اجتهد في الضبط بما تيسر له، بالسماع من قارئ متقن بواسطة الوسائل السمعية الحديثة، أو بأخذه من الكتب والرسائل التي ألفت فيه.

وقد بين ﷺ أن من بذل وسعه مجتهدًا في إتقان التلاوة ولم يساعده لسانه علىٰ إخراجها علىٰ وجوهها، إذ التعتعة عسر في النطق ومشقة، فهذا مأجور من جهتين: علىٰ اجتهاده في طلب الصواب، وعلىٰ نفس تلاوته.

فالأعجمي ربما لم تساعده لغته ولسانه علىٰ أن يعطي كل حرف حقه ومستحقه، ومع ذلك يثني النَّبي ﷺ علىٰ جلوسه لقراءة القرآن، لا ينقص حسن عمله ذلك عن حسن عمل من كان معه من العرب الفصحاء، وحثه النَّبي ﷺ علىٰ التلاوة وإن كانت عجمته لا تساعده علىٰ الإتقان، وإنما ذلك لصحة المقاصد من أولئك المجتمعين، ولذا ذم بمقابلهم القراء المتكلفين لإقامة الألفاظ حتىٰ إنَّ أحدهم ليحرص علىٰ الدقة في أدائه يقيم الحرف كإقامة السهم من القوس، لكنهم يبتغون به الدنيا.

فعليه، ومع ما بيناه من وجوب القراءة بالتجويد نقول: لا يجوز أن يجعل ذلك حائلًا دون قراءة القرآن لمن بذل وسعه للقراءة به لكنه لم يحققه علىٰ وجهه لعجزه.

ومن الدروس التي يمكن الاستعانة بها: تلاوات تعليمية بالصوت والصورة لجزء (عم والفاتحة) للشيخ، د. أيمن رشدي سويد، وسماع التلاوات التعليمية للشيخ محمود خليل الحصري.

وهناك العديد من البرامج والوسائط المختلفة لتعلم تجويد الفاتحة، وقصار السور، ويسهل علىٰ أي أحد أن ينتفع بها.

ما أسهل الطرق
لتعلم الوقف والابتداء في القرآن؟

أسهل طريقة لتعلم الوقف والابتداء هي الأخذ بما وجد في المصاحف من علامات للوقف والابتداء، فينبغي علىٰ عموم المسلمين ملاحظة ما ذكر من التعريف بتلك العلامات في أواخر المصاحف، وأن يستعملوها علىٰ الصورة التي بُيِّنَت لهم، فإنَّ ذلك معين علىٰ تدبر القرآن وفهمه، خاصَّةً ما كان منه من الوقف اللازم، فعليهم التزام الوقف عنده، وما كان من الممنوع فلا يوقف عنده، ويترك الوقف في موضع ليس فيه علامة وقف أصلًا.

لا أستثني من هذا إلا من أوتي حظًّا من فهم القرآن، وعُدَّة واقية من الخطأ في ضبط المعنىٰ، من أهل العلم والذكر، فهؤلاء قد يستحسنون مواضع للوقف باجتهادهم في تدبر القرآن.

ولا بد أن يراعىٰ في الابتداء صحة المعنىٰ واستقامة السياق، ولو استعمل إنسان علامات الوقف المثبتة في المصاحف في خلال الآية لا علىٰ رأسها، فوقف عند علامة من تلك العلامات غير علامة الوقف الممنوع، فلو جعل ابتداءه من الكلمة التالية لعلامة الوقف دائمًا فذلك أسلم له وأبعد عن الخلل.

لكن لو انقطع نفسه في غير موضع وقف، فالذي يحسن به: أن يعود إلىٰ شيء من الآية قبل موضع وقوفه فيصله بما بعده بشرط أن يصح المعنىٰ بذلك الابتداء.

كما لو قرأ: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦] فانقطع النفس، وليس عند هذا في المصحف وقف، إنما الوقف علىٰ قوله: ﴿ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ﴾ [التوبة: ٦]، وهو وقف كاف، ويسمىٰ (الوقف الجائز)، فعليه حينئذ أن يعود ليبدأ في موضع يتصل به الكلام المفيد، فلا يبدأ بقوله: ﴿يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ﴾ [التوبة: ٦] فهذا مخل بالسياق، وإنما يرجع فيقرأ: ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ﴾ [التوبة: ٦].

ومن علامات الوقف والابتداء في المصحف:

(مـ): وتفيد لزوم الوقف ولزوم البدء بما بعدها وهو ما يسمىٰ بالوقف اللازم.

(لا): تفيد النهي عن الوقف في موضعها، والنهي عن البدء بما بعدها.

(صلي): تفيد بأن الوصل أولىٰ مع جواز الوقف.

(قلي): تفيد بأن الوقف أولىٰ مع جواز الوصل.

(ج): تفيد جواز الوقف.

(النقط المثلثة): تفيد جواز الوقف بأحد الموضعين، وليس في كليهما، وهو ما يسمىٰ بوقف المعانقة.

وكانت المصاحف الأولىٰ خالية من علامات الوقف، وظلت كذلك قرونًا كثيرة، وعمل الخطاطون في فترات متأخرة علىٰ وضع علامات لأنواع الوقف التي

ذكرها العلماء في كتبهم، مثل (م، ج، صلىٰ، قلىٰ، لا) ونحوها، وتجد في آخر المصاحف المطبوعة توضيحًا لدلالة تلك العلامات وما يشبهها.

وقد تختلف هذه العلامات من مصحف إلىٰ آخر تبَعًا لاختلاف اجتهاد العلماء في فهم التركيب النحوي للآيات، وما يترتب علىٰ ذلك من تغير المعنىٰ.

ما معنى أن فلانًا أخذ إجازة في القرآن؟

معناه: أنه قرأ علىٰ شيخ ضابط متقن للقرآن، وهذا الشيخ قد أخذ علىٰ شيخ آخر، وهكذا إلىٰ أن يتصل سنده بالنبي ﷺ، فيقرأ عليه هذا الطالب القرآن كله، ويجيزه الشيخ أن يَقرأ ويُقرئ القرآن كما تعلم، ويصير بذلك مُجازًا، ويصح له أن يجيز غيره حينئذٍ.

ما المراد بالتغني بالقرآن،
وهل يجوز تعلم المقامات الموسيقية لتحسين الصوت؟

لقد حثَّ النَّبي ﷺ علىٰ تحسين الصوت بالقرآن، وهو معنىٰ التغني بالقرآن، فمعناه: تحسين الصوت بالقرآن، بإقامة حروفه حَسب قوانين التلاوة الصحيحة، وهو علم التجويد.

فمن تَعلَّم التجويد حقًّا، وقرأ القرآن بلا مبالغة وتكلف، فقد تغنىٰ بالقرآن، وله أجره.

أما تعلُّم المقامات للقراءة بها، فقد اختلف العلماء في حكمه:

١- فقال بعضهم بجوازه، بشرط عدم الإخلال بقواعد التجويد، فإن أخلت المقامات بالتجويد، وتصنع القارئ في القراءة، وطوع القرآن لتلك المقامات فإنَّ ذلك غير جائز.

٢- ومنع بعض العلماء من تعلم المقامات مطلقًا، واقتصروا علىٰ التجويد فحسب.

والخلاصة؛ أن **التغني المحمود بالقرآن**، هو: ما يساعد علىٰ المقصود من التلاوة وهو العظة والاعتبار، وفهم معانيه، وتدبر آياته، وتذوق جمال لفظه، وطَلَاوةِ أسلوبه، وحلاوة بلاغته، وهذا مستحسن مطلوب.

وأن **علىٰ القارئ أن يلتزم بأحكام تلاوة القرآن**، والتي وضعها العلماء في علم التجويد، وألا يتكلف القراءة بالمقامات.

ما النصيحة لمن ختم القرآن الكريم حفظًا؟

لقد أراد الله بك الخير، ووفقك لوراثة الكتاب، فاعمل علىٰ تحصيل الوراثة كما أراد الله، أنت في مقام اصطفاء فإياك أن تفرط فيه!

أقبل علىٰ شأنك، ولتستقم علىٰ أخلاق حملة الكتاب، وعليك بمراجعة محفوظك، وفهم كلام ربك، والعمل به.

كن مقبلًا علىٰ ما يعينك علىٰ القرب من كتاب الله، فبقدر قربك يكون أخذك.

كيف أضبط متشابهات القرآن، وما الكتب المعينة على ذلك؟

أفضل طريقة لضبط متشابهات القرآن = **كثرة المراجعة**، فإنَّ من كثرت مراجعته للقرآن استطاع أن يستحضر المتشابهات، وأن يفرق بينها بيسر إن شاء الله.

ومما يعين علىٰ ضبط المتشابه:

١- تلاوة القرآن في الصلاة.

٢- فهم القرآن.

٣- إيجاد طريقة خاصة لضبط المتشابه.

٤- تقييد الآيات المشتبهة علىٰ الحافظ، وإدمان النظر فيها.

٥- معرفة الفروق البلاغية بين المتشابهات اللفظية.

ومن الكتب الجيدة في مسألة الحفظ، والمراجعة، وضبط المتشابهات اللفظية، وغايتها أن تكون كالفهرس، وإلا فإنَّ **الجهد الشخصي** يعد العامل الأساس في الضبط والاستحضار:

١- الحصون الخمسة في حفظ القرآن الكريم، والجبال الرواسي في مراجعة وإتقان كلام رب الناس، ورسوخ، وعلامات، وجميعها للشيخ د. سعيد أبو العلا حمزة.

٢- الكليات في المتشابهات اللفظية القرآنية، للشيخ عبدالرحمن القصير.

٣- الضبط بالتقعيد للمتشابه اللفظي في القرآن المجيد، للشيخ فواز آل حنين.

٤- دليل الآيات المتشابهة علىٰ الحفاظ، د. سراج صالح ملائكة.

٥- إعانة الحفاظ للآيات المتشابهة الألفاظ، وهو كتاب جيد للشيخ محمد طلحة بلال أحمد منيار.

٦- دليل الحفاظ في متشابه الألفاظ، للشيخ يحيىٰ الزواوي.

وهذا الموضوع تظهر فيه بعض الإبداعات الفردية للمؤلفين، فلكل طريقته في حصر المتشابه، وفي مجموع هذه الكتب خير.

سادسًا:

أحكام فقهية تتعلق بالقرآن المجيد

﴿إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ٧٧ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ٧٨ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ
٧٩ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾

[الواقعة: ٧٧-٨٠]

ما حكم الطهارة لتلاوة القرآن؟

ينبغي علىٰ المسلم أن يكون طاهرًا حال تلاوته للقرآن، وأن يراعي هذا الأدب.

ويختلف حال المسلم عند قراءة القرآن بين أن يكون علىٰ حدث أصغر، أو حدث أكبر.

١- صاحب الحدث الأصغر:

يجوز للمحدث حدثًا أصغر أن يقرأ القرآن، وإن كان الأولىٰ أن يكون علىٰ طهارة، فالطهارة لتلاوة القرآن أدب يحسن أن يراعيه المسلم.

٢- صاحب الحدث الأكبر:

لا يجوز للمحدث حدثًا أكبر مس المصحف في قول جماهير أهل العلم من الصحابة والتابعين، وأئمة المذاهب الأربعة.

أما القراءة: فقد ذهب عامة الفقهاء من المذاهب الأربعة وغيرهم إلىٰ تحريم قراءة القرآن علىٰ الجنب، ولو من غير مسٍّ للمصحف.

أما الحائض والنفساء، فذهب جمهور الفقهاء إلىٰ حرمة قراءة الحائض للقرآن حال الحيض حتىٰ تطهر.

ويمكن للحائض أن تستعين بالسماع بدلًا عن القراءة فترة عذرها الشرعي.

وقال بعض العلماء -بتصرف-: «لا يجوز للحائض أو النفساء قراءة القرآن ولو غيبًا ودون لمس المصحف، فالمحرَّم عليها هو القراءة بغض النظر عن كيفية القراءة، ويجوز لها أن تنظر إلىٰ القرآن بالعين أو تستحضره بالقلب دون التلفظ باللسان، ويجوز لها أن تنظر إلىٰ القرآن من الكمبيوتر [أو الجوال] دون أن تتلفظ بقراءته؛ لأن ذلك لا يسمىٰ قراءة بل هو نظر».

ما حكم الطهارة لمس المصحف؟

يحرم مسُّ المصحف علىٰ غير وضوء، وتحريم مس المصحف علىٰ غير وضوء يشمل تحريم مس ورقه، ومسِّ جلده المتصل به (علىٰ الصحيح؛ لأنه كالجزء منه، ولهذا يتبعه في البيع).

وأما تقليب ورقه باستعمال آلة من غير اضطرار إلىٰ مس فلا بأس فيه ولا حرج، بخلاف حمل المصحف باستعمال قماش أو كيس ونحوه، فهذا لا يجوز وإن لم يشتمل علىٰ مسٍّ للمصحف، لأن الحمل أبلغ من المس.

يُستثنىٰ من ذلك ما إذا خشي المسلم غير المتوضئ علىٰ المصحف الشريف من التعرض للأذىٰ والامتهان.

هل تأخذ المصاحف الإلكترونية حكم المصاحف المطبوعة؟

يجوز مسُّ الهاتف الموجود عليه تطبيق المصحف، سواءٌ أكان المصحف ظاهرًا علىٰ الشاشة أم لا، وسواءٌ أكان المس لجدار الجهاز أو للشاشة الظاهر عليها الكتابة، وسواءٌ أكان المس بالأصبع أو بالقلم المعروف في بعض الأجهزة.

وبالتالي: فإنَّ **القراءة جائزة من الهاتف أو نحوه مما يقبل تنزيل القرآن عبر الوسائط المختلفة**، وهذا للمحدث حدثًا أصغر، أما الجنب والحائض فلا يجوز لهما القراءة أصلًا كما قدمنا.

سابعًا:

كتب الدراسات القرآنية

ما الكتب التي تصلح للمبتدئين في التفسير؟

١- المختصر في تفسير القرآن، إعداد مركز تفسير، ويمتاز بسهولة العبارة، وكونه تطبيقًا يسهل تنزيله علىٰ الهواتف، وهو متوفر بصيغة صوتية.

٢- التفسير الميسر، إعداد مجمع الملك فهد، وهو متين العبارة، وعبارته أصح من المختصر، ولكن كثيرًا من الناس لا يستسيغونها.

٣- المعين علىٰ تدبر الكتاب المبين، للأستاذ مجد مكي، وهو أوسع من سابِقَيْه عبارة، ومفيد كذلك.

٤- تفسير السعدي، ويمتاز بسهولة عبارته، وغزارة فوائده.

ولا ينبغي الحيرة بين الكتب، فليختر من يريد القراءة كتابًا من هذه الكتب، ولن يفوته شيء كبير.

أريد تفسيرًا صوتيًا للقرآن الكريم

١- دورة الأترجة، لعدد من المتخصصين في التفسير وعلوم القرآن.

٢- برنامج بينات، ويعرض علىٰ قناة المجد.

٣- برنامج التفسير المباشر، وقد بثته قناة دليل.

٤- تفسير الشيخ الشعراوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

أريد أن أتعلم علوم القرآن، كيف أبدأ؟

يبدأ من يريد تعلم علوم القرآن بمطالعة الكتب التالية:

١- مدخل إلىٰ التعريف بالمصحف الشريف، د. حازم حيدر سعيد، ط. معهد الإمام الشاطبي.

٢- القرآن الكريم . . مقدمة أساسية، عمرو الشرقاوي، مركز تراث.

٣- علم التفسير . . مقدمة أساسية، عمرو الشرقاوي، مركز تراث.

وبعد ذلك، يقوم بقراءة الكتب التالية:

١- المقدمات الأساسية في علوم القرآن، د. عبدالله الجديع، ط. الريان.

٢- التحرير في أصول التفسير، د. مساعد الطيار، ط. معهد الشاطبي.

٣- المحرر في علوم القرآن، د. مساعد الطيار، ط. معهد الشاطبي.

ويستعين -مع ما سبق- بالسلاسل الصوتية، ومن أهمها:

١- مدخل إلىٰ المصحف الشريف، وعلم القراءات، د. حازم حيدر.

٢- علوم القرآن، د. محمد الخضيري.

٣- المهمات في علوم القرآن، د. خالد السبت.

٤- الطريق إلىٰ صناعة المفسر، د. مساعد الطيار.

٥- دورة بداية المفسر.

٦- برنامج أضواء القرآن، وهو من البرامج المهمة.

وفي كتاب (المشوق إلىٰ القرآن - الإصدار الثاني) لعمرو لشرقاوي، منهجٌ موسعٌ مفصل لدراسة علوم القرآن، وأصول التفسير.

أريد كتبًا عن تدبر القرآن

١- القرآن تدبر وعمل، مركز منهاج، وهو كتاب حافل ومهم.

٢- الطريق إلىٰ القرآن، إبراهيم السكران.

٣- هذه رسالات القرآن، د. فريد الأنصاري.

٤- المشوق إلىٰ القرآن، عمرو الشرقاوي.

٥- الخلاصة في تدبر القرآن، د. خالد السبت.

٦- ليدبروا آياته . . حصاد سبع سنوات من التدبر، دار الحضارة.

٧- أول تدبر، د. نايف الزهراني.

٨- أول مرة أتدبر القرآن، عادل محمد خليل.

٩- القواعد والأصول وتطبيقات التدبر، د. خالد السبت.

١٠- تدبر القرآن الكريم، د. عبداللطيف التويجري.

أريد كتابًا ميسرًا في أسباب النزول

١- التسهيل في أسباب التنزيل، عمرو الشرقاوي.

٢- الصحيح المسند من أسباب النزول، مقبل الوادعي.

٣- الصحيح من أسباب النزول، د. عصام بن عبدالمحسن الحميدان.

ما أفضل الكتب في قصص الأنبياء؟

١- دعوة الرسل للشيخ محمد أحمد العدوي، عناية عمرو الشرقاوي، وهو من أفضل الكتب التي طالعتها في قصص الأنبياء.

٢- قصص الأنبياء في القرآن الكريم وما فيها من العبر، للعلامة عبدالرحمن بن ناصر السعدي.

٣- قصص القرآن، لمجموعة من الشيوخ، منهم: محمد أبو الفضل إبراهيم، وعلي البجاوي.

٤- قصص القرآن الكريم، للدكتور فضل حسن عباس.

٥- القصص القرآني، د. صلاح الخالدي.

أريد بعض الكتب المعينة
على إدراك بلاغة القرآن وجمال أسلوبه ولطائفه

إنَّ إدراك بلاغة القرآن وجمال أسلوبه من الموضوعات المهمة، والتي يحصل بإدراكها إدراك جانب من عظمة هذا الكتاب المبين، ومن الكتب في معرفة هذا الجانب ما يلي:

١- التحرير والتنوير، للإمام الطاهر ابن عاشور، وهو تفسير قيم من مفاخر التأليف في الجانب البلاغي في القرآن، والتفسير عامَّة.

٢- كتب الدكتور فاضل صالح السامرائي، وتطبعها دار ابن كثير، وكثير منها متوفر علىٰ الشبكة العالمية، وكذلك برامجه المرئية، ومنها:

- لمسات بيانية.
- أسئلة بيانية في القرآن الكريم.
- التعبير القرآني.
- علىٰ طريق التفسير البياني.
- بلاغة الكلمة في التعبير القرآني.

٣- بلاغة تصريف القول في القرآن الكريم، د. عبدالله النقراط، دار قتيبة.

٤- كتب مركز تدبر، وهي كتب مفيدة، ومهمة، ومنها:

- حصاد سبع سنوات من التدبر.

- الأسرار البلاغية في الفرائد القرآنية، د. عبد الله سرحان.

- بدائع المعاني (آيات الصيام: تدبر وتحليل)، د. عبد المحسن العسكر.

٥- مجالس القرآن، د. فريد الأنصاري، دار السلام.

طبعات الكتب التالية:
(تفسير ابن كثير - تفسير ابن جزي)

١- تفسير ابن كثير.

طبعاته متقاربة، وأفضلها -فيما اختبرته-: دار طيبة الطبعة الثانية، ودار ابن الجوزي، ودار عالم الكتب، ولا ينبغي التوقف كثيرًا في التفضيل بين طبعاته، فقد كثرت جدًّا، وصعب التفضيل بينها.

وأما مختصراته، فمن أجودها:

- اليسير في اختصار ابن كثير، إشراف د. صالح بن حميد، وهو أفضلها -في رأيي-.
- عمدة التفسير، للعلامة أحمد شاكر.
- المصباح المنير، للمباركفوري، وعليه شرح للشيخ خالد السبت.

ولا ينبغي الاستغراق في التفضيل بينها.

٢- تفسير ابن جزي.

صدرت طبعة دار طيبة بتحقيق ا/ علي الصالحي، وهي طبعة جيدة، أمثل من طبعاته السابقة، وهي أفضل من طبعة دار الضياء المنتشرة، فإن لم توجد

فطبعة المنتدىٰ الإسلامي بتحقيق د. أبو بكر سعداوي، وهي مصورة ومتوفرة علىٰ الشبكة.

ما رأيك في كتاب (في ظلال القرآن)؟

كتاب (في ظلال القرآن)، لمؤلفه الأستاذ/ سيد قطب رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ليس تفسيرًا بالمعنىٰ الاصطلاحي، وأغلب مادته التفسيرية من تفسير الإمام ابن كثير.

وهو كتاب ممتع، يقرأ فيه المسلم فيجد فيه روحًا صادقة، وتأمُّلًا لمعاني كلام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا يجدها عند غيره.

غير أن الكتاب لا يصلح لطالب مبتدئ، فالأفضل أن يُقرأ مع أحد مختصرات التفسير، ليُضبط المعنىٰ، ويُستفاد مما قرره الأستاذ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وعلىٰ الكتاب **مآخذ** ذكرها عددٌ من أهل العلم، لكنها لا تنفي قدره، وأهميته.

ويمكن الوقوف علىٰ مميزات الكتاب، وأبرز المآخذ عليه من كتاب: (في ظلال القرآن في الميزان)، للدكتور صلاح الخالدي.

أريد أسماء كتب
لتكوين نواة مكتبة في الدراسات القرآنية

رتبت هذه الكتب بحسب الأهمية -غالبًا-، والدراسة -ثانيًا- إلا ما ندر، وسأجعل قائمة رئيسة بإذن الله تعالىٰ بعد هذه المقدمة.

أولًا: كتب التفسير

١- المختصر في تفسير القرآن، مركز تفسير.

٢- اليسير في اختصار ابن كثير، د. صالح بن حميد، كرسي القرآن وعلومه.

٣- التسهيل لعلوم التنزيل (تفسير ابن جزي)، دار طيبة، أو: المنتدىٰ الإسلامي.

٤- تفسير ابن كثير، ابن الجوزي، أو: طيبة الثانية، أو: عالم الكتب.

٥- التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، دار سحنون.

٦- زاد المسير، لابن الجوزي، المكتب الإسلامي.

٧- المحرر الوجيز، لابن عطية، قطر (٢٠١٥م)، أو: دار الكتاب العربي.

٨- فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب، للطيبي، جائزة دبي.

٩- موسوعة التفسير المأثور، معهد الإمام الشاطبي.

١٠- تفسير الإمام الطبري، عالم الكتب.

١١- تفسير شيخ الإسلام ابن تيمية، دار ابن الجوزي.

١٢- التفصيل في إعراب التنزيل، د. سعد مصلوح، د. الخطيب، دار العروبة.

ثانيًا: كتب علوم القرآن، وأصول التفسير

١- هذه رسالات القرآن، د. فريد الأنصاري، دار السلام.

٢- مدخل إلىٰ التعريف بالمصحف الشريف، د. حازم حيدر، معهد الإمام الشاطبي.

٣- المشوق إلىٰ القرآن، عمرو الشرقاوي، الإصدار الثاني.

٤- القرآن الكريم . . مقدمة أساسية، عمرو الشرقاوي، مركز تراث.

٥- علم التفسير . . مقدمة أساسية، عمرو الشرقاوي، مركز تراث.

٦- المقدمات الأساسية في علوم القرآن، د. عبدالله الجديع، الريان.

٧- المحرر في علوم القرآن، د. مساعد الطيار، معهد الإمام الشاطبي.

٨- التحرير في أصول التفسير، د. مساعد الطيار، معهد الإمام الشاطبي.

٩- الميسر في علم رسم المصحف، د. غانم قدوري الحمد، معهد الإمام الشاطبي.

١٠- الميسر في علم عد الآي، د. أحمد خالد شكري، معهد الإمام الشاطبي.

١١- مقدمات في علم القراءات، د. أحمد خالد شكري، دار عمار.
١٢- الأساس في علم القراءات، د. علي الجعفري، أروقة.
١٣- علوم القرآن في الأحاديث النبوية، د. عمر الدهيشي، كرسي القرآن الكريم.
١٤- علوم القرآن عند الصحابة والتابعين، د. بريك القرني، دار التدمرية.
١٥- إمتاع ذوي العرفان بما اشتملت عليه كتب شيخ الإسلام ابن تيمية في علوم القرآن، مجموعة، دار الإمام البخاري.
١٦- علوم القرآن بين البرهان والإتقان، د. حازم حيدر، دار الزمان.
١٧- الإتقان في علوم القرآن، الإمام السيوطي، مجمع الملك فهد.
١٨- البرهان في علوم القرآن، للإمام الزركشي، دار المعرفة، أو دار الحضارة.
١٩- المحرر في أسباب النزول، د. خالد المزيني، دار ابن الجوزي.
٢٠- الاستدلال علىٰ المعاني في تفسير الطبري، د. نايف الزهراني، مركز تفسير.
٢١- التفسير اللغوي، د. مساعد الطيار، دار ابن الجوزي.
٢٢- اختلاف السلف في التفسير، د. محمد صالح، مركز تفسير.
٢٣- المفسرون من الصحابة، عبدالرحمن المشد، مركز تفسير.
٢٤- دعوة الرسل، الشيخ محمد العدوي، مركز تفكر.
٢٥- النبأ العظيم، د. محمد دراز، كتبكم.
٢٦- تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، د. صلاح الخالدي، دار القلم.

٢٧- رسم المصحف، د. غانم الحمد، دار عمار.

٢٨- العقائدية، وأثرها في تفسير النص، د. ياسر المطرفي، مركز نماء.

٢٩- تفسير آل حاميم، د. محمد أبي موسىٰ، مكتبة وهبة.

٣٠- آيات العقيدة المتوهم إشكالها، زياد العامر، دار المنهاج.

٣١- مقالا في علوم القرآن وأصول التفسير، د. مساعد الطيار، مركز تفسير.

٣٢- بحوث محكمة في علوم القرآن، د. مساعد الطيار، مركز تفسير.

٣٣- من إعجاز القرآن في أعجمي القرآن، د. رؤوف أبو سعدة، دار الميمان.

٣٤- الشاهد الشعري، د. عبدالرحمن الشهري، دار المنهاج.

وعامة إصدارات: «مركز تفسير للدراسات القرآنية»، «كرسي القرآن الكريم وعلومه بجامعة الملك سعود»، «معهد الإمام الشاطبي بجدة»، «مؤسسة مبدع بالمغرب»، «مركز منهاج»، «مركز تدبر»، «الجمعية السعودية للقرآن وعلومه»، «جمعية المحافظة علىٰ القرآن بالأردن»، «كراسي القرآن في الجامعات»، «مجمع الملك فهد»، «دار التفسير»، وغيرها مما يحرص علىٰ معرفة إنتاجهم، ومتابعة المهم فيه.

ويمكنك الاطلاع علىٰ المنتقىٰ من كتب الدراسات القرآنية (١٠٠ كتاب)، لأستاذنا الدكتور عبدالرحمن بن معاضة الشهري.

أريد قائمة مختصرة في الدراسات القرآنية

١- المختصر في تفسير القرآن، مركز تفسير.

٢- اليسير في اختصار ابن كثير، د. صالح بن حميد، كرسي القرآن وعلومه.

٣- التسهيل لعلوم التنزيل (تفسير ابن جزي)، دار طيبة، أو المنتدىٰ الإسلامي.

٤- هذه رسالات القرآن، د. فريد الأنصاري، دار السلام.

٥- مدخل إلىٰ التعريف بالمصحف الشريف، د. حازم حيدر، معهد الإمام الشاطبي.

٦- المشوق إلىٰ القرآن، عمرو الشرقاوي، الإصدار الثاني.

٧- القرآن الكريم . . مقدمة أساسية، عمرو الشرقاوي، مركز تراث.

٨- علم التفسير . . مقدمة أساسية، عمرو الشرقاوي، مركز تراث.

٩- المقدمات الأساسية في علوم القرآن، د. عبدالله الجديع، الريان.

١٠- المحرر في علوم القرآن، د. مساعد الطيار، معهد الإمام الشاطبي.

١١- التحرير في أصول التفسير، د. مساعد الطيار، معهد الإمام الشاطبي.

١٢- الأساس في علم القراءات، د. علي الجعفري، أروقة.

١٣- دعوة الرسل، الشيخ محمد العدوي، مركز تفكر.

١٤- النبأ العظيم، د. محمد دراز، كتبكم.

١٥- تنزيه القرآن الكريم عن دعاوىٰ المبطلين، منقذ السقار، مركز تكوين.

لمن أتوجه بالسؤال عما يشكل علي فيما يتعلق بالقرآن؟

يمكن الرجوع في السؤال عن القرآن وما يتعلق به للمواقع الآتية:

١- مركز تفسير للدراسات القرآنية، وحسابهم: الاستشارات القرآنية.

٣- موقع «الإسلام سؤال وجواب» قسم القرآن وعلومه.

ثامنًا: ملحقات الكتاب

أفياء .. منشورات قرآنية

(١)

أفـيـاء

سورة البقرة

(١) ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤].

منزلةُ الرجل من ربه تكون بمقدار قيامه بما أوجبه الله عليه، وعنايته بالتكاليف.

(٢) من كثُرت معرفتُه بالقرآن = تفجَّرت الحكمة في قلبه وعلىٰ لسانه، قال الله: ﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة: ٢٦٩]، قال أهل التفسير: الحكمة، هي **المعرفة بالقرآن**.



سورة آل عمران

صَرَّح القرآن باسم محمد ﷺ في أربعة مواضع:

ثلاثة منها في وصفه بالرسالة، ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ [آل عمران: ١٤٤]، ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ [الفتح: ٢٩].

والرابعة في ذكر إنزال القرآن عليه، ﴿وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ﴾ [محمد: ٢]!



سورة النساء

(١) ﴿وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ﴾ [النساء: ٧٢].

لا تكن بطيئًا في العبادة، أقبل علىٰ الله وطاعته، قبل أن تندم علىٰ انصرام الأيام، وتقول حين ينتهي العمر، ﴿يَٰلَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٧٣].

لا تزال فرص الفوز بيدك، فاستمسك بها.

(٢) ﴿كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ [النساء: ٩٤]، هذه قاعدةٌ عظيمةٌ في رحمةِ خلق الله.

(٣) يقول الله سبحانه: ﴿وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١١١-١١٢].

فليتَّق الله من يرمي الناس بما هم منه براء، والمنصف العاقل من أنصف في كل حال!



سورة المائدة

(١) أولىٰ العقود بالوفاء؛ العقد الذي عقده الإنسان مع ربه، أن يعمل الصالحات فيدخل الجنة، فمن وَفَّىٰ وُفِّيَ له!

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ﴾ [المَائدة: ١].

(٢) ﴿وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ﴾ [المَائدة: ٤٨]!

من عرف الحق كان عليه أن يلزمه، وألا يتركه لقول أحد كائنًا من كان، وعلىٰ الحق نور يدركه من نُوِّرت بصيرته، والله يهدي الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه.

اللهم إنَّا نسألك أن ترينا الحق حقًّا، وأن ترزقنا اتباعه.

(٣) في ختام سورة المائدة (العقود) مشهدٌ عظيم مهيب ينبغي أن يستحضره كل متصدر، ومريد للإصلاح.

يبدأ المشهد بجمع أفضل البشر، وأئمَّة الخلق، رسل الله، ليسألهم الرب العظيم ﴿فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبۡتُمۡۖ﴾ [المَائدة: ١٠٩]، ماذا صنعت أممكم في دعوتكم إياهم؟

ليذهل الرسل عن الجواب خوفًا وفرقًا فإنَّ الرب غضب غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله.

لقد ذهل الرسل عن الجواب الذي علموه، لقد نسي المرسلون كل تكذيب وقع لهم، وكل إيمان حصل بهم من شدة الهول والخطب.

هذا في قول بعض السلف.

وقال آخرون: لا علم لنا فوق ما تعلمه ربنا، وفيه الأدب التام مع الرب العظيم الذي يسألهم في هذا الموقف العظيم.

وفيه: أنهم إنما علموا الظواهر دون البواطن، فتأدَّبوا في خطابهم لربهم، وردُّوا العلم له، وهو العليم الخبير الذي علم كل شيء.

ثم يتحول المشهد لنبي ضلَّت أمة كثيرة في شأنه، ليوجز مشاهد حياته، وما أنعم الرب عليه، وليذكر (المائدة)، وشأنها، ثم يخاطبه الله تعالىٰ قائلًا له -حين رفعه أو يوم القيامة-:

﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [المَائِدَة: ١١٦].

فيكون الجواب الموجز أولًا:

﴿سُبْحَـٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾ [المَائِدَة: ١١٦].

ثم يأتي التفصيل:

﴿إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [المَائِدَة: ١١٦].

ويستطرد أنه مُبَلغٌ ما أمره الله به، لا يزيد ولا ينقص.

ترىٰ أنه يدفع عن نفسه بكل سبيل وهو صادق، أنه لم يتعد حدوده، وهكذا ينبغي لكل مصلح أن يعلم حده، وألا يتكلم إلا فيما يحسن، فإنه مسؤول.

لتُختم السورة بأعظم ختام في هذا الموضع.

﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [المَائِدَة: ١١٩].

هذه الحقيقة التي لا ينبغي أن تغفل عنها يا من وضعت نفسك موضع التصدر، والسيادة، لا ينجيك يومئذٍ إلا صدقك.

فاجعلنا اللهم من الصادقين.



سورة الأنعام

(١) مما تعلمنا المحن؛ إدراك حقائق الوحي التي تمر علينا أوقات الصَّفاء فلا تقع منا موقعها لانشغال قلوبنا عنها.

الله العظيم يقول عن نفسه:

﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعَام: ١٨]، وقال: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعَام: ٦١].

فبقهره خضع له كل شيء، وبحكمته وخبرته تطمئن أنَّ كل شيء في موضعه ومكانه.

وبقهره تدرك أن لا ملجأ منه إلا إليه، وأن الموت إن قُدِّر عليك، فلن تفر منه، لأن رسل الله لن تفرِّط.

وإن لم يأت أجلك، فاطمئن، فإنَّ نفسًا لن تموت حتىٰ تستوعب رزقها، وتستوفي أجلها!

إنَّ الحقيقة التي يُعلمنا القرآن إياها، أن تعمل صالحًا، وأن تستعد للقاء الله!

هذه فرصة جيدة لتتعرف مرة أخرىٰ علىٰ المعاني التي بثها القرآن لأهل الإيمان، وتأمَّل إن شئت قوله سبحانه:

﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [الأحزاب: ١٦-١٧].

(٢) ﴿فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٤٣].

نزول البأس = مَوْقِدُ التضرع!

بعض النفوس لا يزيدها التخويف من الله إلا طغيانًا كبيرًا، تلك قلوب ماتت، لم تعد تشعر بالحياة، أما القلوب الحية فربما أصابها الظلام، وطائف الشيطان، بانعدام للرؤية، فإذا ذُكِّروا تذكَّروا فأبصروا، فعاشوا بالإبصار في نعيم.

(٣) قال سبحانه: ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنعام: ٥٤].

«وصفهم بالإيمان بالقرآن واتباع الحجج، بعد ما وصفهم بالمواظبة علىٰ العبادة، وأمره بأن يبدأ بالتسليم أو يبلغ سلام الله تعالىٰ إليهم، ويبشرهم بسعة رحمة الله تعالىٰ وفضله، بعد النهي عن طردهم.

إيذانًا بأنهم الجامعون لفضيلتي العلم والعمل.

ومن كان كذلك ينبغي أن يقرَّب ولا يطرد، ويُعَز ولا يذل، ويبشَّر من الله بالسلامة في الدنيا والرحمة في الآخرة»، [أنوار التنزيل وأسرار التأويل: (٢/ ١٦٤)].



سورة الأعراف

(١) قال تعالىٰ: ﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ٢].

وفي الآية أنَّ «كتاب الأحباب تحفة الوقت، وشفاء لمقاساة ألم البعد، وهو لداء الضنىٰ مزيل، ولشفاء الشكِّ مقيل»، [لطائف الإشارات = تفسير القشيري: (١/ ٥١٨)، الضنىٰ: المرض. مقيل: مكان الراحة].

(٢) قال الطبري (ت: ٣١٠): «إنه لا حالة من أحوال المؤمن يغفل عدوُّه الموكل به عن دعائه إلىٰ سبيله، والقعود له رصدًا بطرق ربِّه المستقيمة، صادًّا له عنها، كما قال لربه، عز ذكره، إذ جعله من المنظرين: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٦-١٧] طمعًا منه في تصديق ظنه عليه إذ قال لربه: ﴿لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٦٢].

فحقٌّ علىٰ كل ذي حجىٰ أن يُجهد نفسه في تكذيب ظنِّه، وتخييبه منه أمله وسعيه فيما أرغمه، ولا شيء من فعل العبد أبلغ في مكروهه من طاعته ربه، وعصيانه أمره، ولا شيء أسر إليه من عصيانه ربه، واتباعه أمره»، [نقله الذهبي (ت: ٧٤٨) في سير أعلام النبلاء: (١٤/ ٢٧٨)].

(٣) يا هذا: لا تأخذنَّ بقول كل ناصح، فإنَّ الشيطان قال لأبويك: ﴿إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ [الأعراف: ٢١]، ولم يكتف بذلك بل أقسم عليه!

فكان ما كان .. فلا تغتر.

(٤) ولا يزال الشَّيطان يزين لك أنها السَّعادة الأبدية؛ فإذا واقَعْتَها رأيت حقارة الأمر ووضاعته!

فلا تفعل فإنه فخ قديم وقع فيه أبواك ..

فكن علىٰ حذر.

(٥) وقال الكليم موسىٰ لقومه، وهم مستضعفون في الأرض، يخافون أن يتخطفهم فرعون وجنوده، ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٨].

كن من أهل التقوىٰ، تكن لك العاقبة!

(٦) أشدُّ ما يَصُدُّ عن الانتفاع بالقرآن، ويفسد العالم وطالب العلم:

أولًا: التعلق بالدنيا، وإيثارها علىٰ الآخرة.

ثانيًا: واتباع الهوىٰ.

فأمَّا الدنيا فمهلكة أي مهلكة، والتعلق بها له صور خفية وأخرىٰ جلية، فمن صوره الخفية: تقديم أهلها ومحبتهم والركون إليهم ومحاولة مزاحمتهم فيها.

وأما اتباع الهوىٰ، فكمحاولة البحث عن الآراء الشاذة لتجويز المحرم، أو الاستهانة به، أو التهوين من شعائر الله.

وينتج عن هذا انسلاخ من الآيات وإعراض عنها، وتبرؤ منها، بحجة أنه قديم، والإنسان علىٰ نفسه بصيرة ولو ألقىٰ معاذيره.

وقد قص الله علينا قصة (بلعام) فقال: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ١٧٥ وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَثۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۚ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ١٧٦ سَآءَ مَثَلًا ٱلۡقَوۡمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمۡ كَانُواْ يَظۡلِمُونَ ١٧٧ مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِيۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٥-١٧٨].



سورة الأنفال

(١) إذا فتح الله للإنسان بابًا لفهم الكتاب، والعمل به، فليستمسك به، فإنه علامة خير وبركة، ألا ترىٰ أن الله تعالىٰ قال عن قومٍ:

﴿وَلَوۡ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمۡ خَيۡرًا لَّأَسۡمَعَهُمۡۖ﴾ [الأنفال: ٢٣]، أي: سمع انتفاع وعمل.

(٢) مهما اجتهد الطُّغاة في إسكات الحق، فإنَّه لا محالة ظاهر، والله يتم نوره ولو كره المجرمون!

﴿وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثۡبِتُوكَ أَوۡ يَقۡتُلُوكَ أَوۡ يُخۡرِجُوكَۚ وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠].

(٣) ربُّنا الودود، يجعل في قلوب عباده وُدًّا لأناس، وبغضًا لآخرين..

﴿لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾ [الأنفال: ٦٣].



سورة التوبة

(١) ﴿فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾ [التوبة: ٣٦].

هذا هو شعار المؤمن في الأشهر الحرم،

لا تظلم نفسك، ولا تظلم غيرك، ولا تساعد أحدًا علىٰ الظلم!

(٢) عن عمرو بن الحارث، عن أبيه: أن أبا بكر الصديق، رحمة الله تعالىٰ عليه حين خطب قال: «أيكم يقرأ سورة التوبة؟» قال رجل: أنا، قال: اقرأ، فلما بلغ: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ﴾ [التوبة: ٤٠] بكىٰ أبو بكر وقال: «أنا والله صاحبه»! [جامع البيان: (١١/ ٤٦٦)].

من صفة الصاحب حقًّا = نفي الحزن عن صاحبه، وبث السكينة والطمأنينة في قلبه، ألا ترىٰ إلىٰ أعظم الأصحاب، وهو محاط به مع صاحبه، لما رأىٰ الحزن داخل قلبه، قال له: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]!

(٣) «لا بد من أذىٰ لكل من كان في الدنيا، فإن لم يصبر علىٰ الأذىٰ في طاعة الله بل اختار المعصية؛ كان ما يحصل له من الشر أعظم مما فر منه بكثير.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّىٓ أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟﴾ [التوبة: ٤٩]!

ومن احتمل الهوانَ والأذىٰ في طاعة الله علىٰ الكرامةِ والعزِّ في معصية الله -كما فعل يوسف عليه السلام وغيره من الأنبياء والصالحين- كانت العاقبة له في الدنيا والآخرة، وكان ما حصل له من الأذىٰ قد انقلب نعيمًا وسرورًا.

كما أن ما يحصل لأرباب الذنوب من التنعم بالذنوب ينقلب حزنًا وثبورًا»، [مجموع الفتاوىٰ، ابن تيمية: (١٥/ ١٣٢)]

(٤) المنافِقُونَ والحاكمونَ بغير ما أنزل الله يبحثون عن حلول الأزمات، والمخرج منها.

لكنَّ بحثهم للدنيا لا لمراعاة الآخرة وشؤونها، وكذلك كان سلفهم من المنافقين.

وقد أظهر الله سريرتهم في أكثر من سورة من أجلِّها السورة الفاضحة (سورة التوبة).

إنهم ينفقون أموالهم، لكنها رِئَاءَ الناس.

إنهم لا يقيمون للدين وزنًا، ولو كان عرضًا قريبًا وسفرًا قاصدًا لاتبعوه.

إنهم يبنون المساجد، لكنَّها مساجد الضرار، ما التقوىٰ أرادوا ببنائها.

وليحلفنَّ إن أردنا إلا الحسنىٰ!

إنَّ اقتصادهم يحركهم، يخافون من انهياره، ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ ۚ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٩٣]!

لكنهم لا يقيمون لانهيار دين الناس وزنًا.

ومع ذلك يتبجحون قائلين: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ [البقرة: ١١]!

﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَـٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٢].



سورة يونس

(١) ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ۖ﴾ [يونس: ٢٣]!

ما من ذنب أجدر أن يعجِّل الله عقوبته في الدنيا، مع ما يدخر الله لصاحبه في الآخرة، من البغي.

(٢) ﴿قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَٰعٌ فِي ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ﴾ [يونس: ٦٩-٧٠]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النحل: ١١٦-١١٧].

الافتراءُ علىٰ الله تعالىٰ وطمس الحق عادة الطغاة والذين يشرعون لهم، والله يُذْهِبُهُ ويمحقُه، متاعٌ قليلٌ، ويذيقُهم الله العذاب الشديد المؤلم.



سورة هود

(١) قال هود لقومه: ﴿إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ﴾ [هود: ٥٤-٥٥].

إنَّ هذه آية من آيات الله في أنصار الحق، وعبرةٌ من العبر، من آيات الله فيهم أن يزيل من قلوبهم هيبة الظالمين، وخشية المفسدين؛ «لأنَّ قلوبهم امتلأت بالخشية من الله والخوف منه، ولأنَّهم واثقون بضعف كيد الشيطان، وأنصار الباطل، وقد أرانا الله -تعالىٰ- أنَّ الباطل لَجْلَج، وأنَّ الحق واضح أَبْلَج، وأنَّ العاقبة لأوليائه، والخذلان لأعدائه، وقدوتنا الحسنة في ذلك أئمة الهدىٰ، وهداة البشر، مَن اختارهم الله -تعالىٰ- لقيادة الناس، وسعادة الإنسانية، فهم الذين يرسمون لنا طريق الدعوة، ويعرفوننا الاستهانة بالباطل، وإكبار الحق، ومن أجل ذلك كانوا أشجعَ الناس قلوبًا، وأوثقهم عقيدة، وأربطهم جأشًا، تضطرب الأرض ومن عليها بفساد المفسدين وهم لا يضطربون، وتضجُّ من هول الجبابرة

والمستكبرين، وهم علىٰ دينهم دائبون، وبدعوتهم معتصمون، وعلىٰ ربهم متوكلون»، [دعوة الرسل، محمد أحمد العدوي].

(٢) بعد سردٍ تاريخي موسع لقصص الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم في سورة (هود)، وذكر لعناد أقوامهم، واستعراض لمسيرة الدعوة الإسلامية في التاريخ البشري كله، وبيان أصولها، ذكرت السورة انقسام الناس في الآخرة إلىٰ سعداءَ وأشقياء.

وذكرت السور أوصاف السعداء ليأتي في مقدمها: عدم السير في ركاب الظلمة.

إنَّ من أهم الصفات التي يتحلىٰ بها أتباع الأنبياء من الدعاة والمصلحين ألا يناصروا ظالمًا قط، وألا يمضي أحدهم في ركابه، وألا يبيع أحدهم دينه ليرضي ظالمًا، ومن أعان ظالمًا بُلي به.

انتقم الله من الظالمين، وحشرنا في زمرة المصلحين، وبصَّرنا بالحق، وجعلنا من أهله.



سورة يوسف

(١) قال إخوة يوسف: ﴿ٱقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ﴾ [يُوسُف: ٩].

«قديمًا قيل: من طلب الكل فاته الكل فلما أرادوا أن يكون إقبال يعقوب عليه السلام بالكلية عليهم قال تعالىٰ: ﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ﴾ [يُوسُف: ٨٤]»، [لطائف الإشارات = تفسير القشيري: (٢/ ١٧٠)].

(٢) «البلاء إذا هجم هجم مرة، وإذا زال زال بالتدريج!

حلَّ البلاء بيعقوب مرة واحدة حيث قالوا: ﴿فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ﴾ [يُوسُف: ١٧]، ولما زال البلاء . . فأولًا وجد ريح يوسف عليه السلام، ثم قميص يوسف، ثم يوم الوصول بين يدىٰ يوسف، ثم رؤية يوسف»، [لطائف الإشارات = تفسير القشيري: (٢/ ٢٠٥)].

(٣) صبر يوسف عن لقاء الملك، فأبدله الله عزًّا وملكًا، فمن قول الملك: ﴿ٱئْتُونِي بِهِۦ﴾ [يُوسُف: ٥٠]، إلىٰ قوله: ﴿ٱئْتُونِي بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي﴾ [يُوسُف: ٥٤]!

فكيف لو صبرت عن شهواتك المحرمة؟! صبر ساعة، ونجاة الدهر.

(٤) «قال بعض أهل التأويل: في هذه الآية، أي قوله: ﴿ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ﴾ [يُوسُف: ٥٥] = ما يبيح للرجل الفاضل أن يعمل للرجل الفاجر، بشرط أن يعلم أنه يفوض إليه في فصل ما لا يعارض فيه، فيصلح منه ما شاء وأما إن كان عمله بحسب اختيار الفاجر وشهواته وفجوره، فلا يجوز له ذلك»، [المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: (٣/ ٢٥٦)].

(٥) بعض التهم تحتاج إلىٰ سكوت منك وتغافل، لا ترد عليها، وثق أنهم يومًا ما سيعرفون الحقيقة!

﴿قَالُوٓا۟ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ ۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِى نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ ۚ﴾ [يُوسُف: ٧٧]!

(٦) لا ينفكُّ المحب عن ذكر حبيبه وإن طال الزمن!

﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُا۟ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ﴾ [يُوسُف: ٨٥].

(٧) طال انتظار يعقوب غير أنه لم ييأس، وابيضت عيناه من الحزن غير أنه لم يقنط.

ونصح قائلًا: ﴿وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يُوسُف: ٨٧] .. اللهم رحمتك.

(٨) قال الكريم لرسول الملك: ﴿ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ﴾ [يُوسُف: ٥٠]، «فنكب عن ذكر امرأة العزيز حسن عشرة، ورعاية لزمام الملك العزيز له»، ابن عطية.

قلت: وفي قوله سبحانه عن الكريم سليل الكرام: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ﴾ [يُوسُف: ١٠٠]!

تنبيهٌ علىٰ خلق عظيمٍ جدًّا.

فإنَّ يوسف لم يذكر خروجه من الجب = مع كونه أشد، وأعظم، إذ كان غلامًا صغيرًا وحيدًا في جُبٍّ مظلم متروك للأهوال والمخاوف.

لم يَذْكر الجب، وذكر السجن = لئلا يؤذي مشاعر إخوته [وهم الذين رموه في الجب]، وقد عفا عنهم قبل قليل.

اللهم صل علىٰ إبراهيم، وعلىٰ آل إبراهيم!

(٩) قد يطُول الطريق حتىٰ تبصر لطف الله بك، فلا تأخذك العجلة، ﴿إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ﴾ [يُوسُف: ١٠٠].

(١٠) حين يعاين المؤمن نعم الله التي تتوالىٰ عليه تترىٰ؛ يتشوَّف للنعيم الخالد فينطلق لسانه داعيًا ﴿تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [يُوسُف: ١٠١].

(١١) في ختام السورة العظيمة، ابتداء تنبيه من الله تعالىٰ علىٰ الطريق الحق، ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [يُوسُف: ١٠٤]، «ابتدأ الله تعالىٰ الإخبار عن

كتابه العزيز أنه ذكر وموعظة لجميع العالم -نفعنا الله به وَوَفر حظَّنا منه بعزته-»، [المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: (٣/ ٢٨٥)].

(١٢) ﴿وَلَدَارُ ٱلْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [يُوسُفَ: ١٠٩]؟!

لم يكن الكريم يوسف حين قصَّ الرؤيا علىٰ أبيه يعلم ما تحمله له الأيام في طياتها، ولم يكن أبوه يعلم حين أخذ ولده منه إلىٰ ما يصير.

لم يكن يوسف علىٰ علمٍ لم هذه البلاءات المتتالية، لم الجبُّ، والنِّسوة، والسجن؟

لم فارق أباه؟

لم حسده إخوته؟

لم ظُلِم ووضِعَ في السجن؟

لكنه أدرك كل هذا، وكانت الحكمة العظيمة: ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [يُوسُفَ: ١٠٠]!

فكم لله من لُطفٍ خفي ... يَدقُّ خفاه عن فهم الذَّكي
وكم يسرٍ أتىٰ من بعد عسرٍ ... ففرَّج كربةَ القلبِ الشَّجي
وكم أمرٍ تُسَاءُ به صباحًا ... فتأتيك المسرة بالعشي

(١٣) في سورة الكريم سليل الكرماء، يوسف عبر عظيمة وآلاء جسيمة، تأمَّل كيف أنجاه الله من حسد إخوته، بوضعه في الجب، ثم أنجاه من الجب، إلىٰ بيت العزيز.

وأنجاه من كيد النسوة، بوضعه في السجن، ثم أنجاه من السجن، ليكون العزيز.

خفضٌ ورفعٌ، ومحنة فمنحة = هذه هي الدنيا، ومع ذلك أعلنها حقيقة مدوية:

﴿تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [يُوسُف: ١٠١]!

(١٤) قميصُ يوسف: دل علىٰ كذب إخوته، ودل علىٰ براءته من الفاحشة، ورد الله بصر يعقوب به، فسبحان من يتصرف في الكون بالتدبير واللطف.

(١٥) بعض المحبة بلاء، وفي قصة الكريم يوسف النبأ = أحبته عمته، وأحبه أبوه، وأحبته امرأة العزيز، فابتُلِيَ من جرَّاء تلك المحبة بما لا يخفىٰ!

(١٦) مهما امتلأت حياتُك بالأحداث فلا بد أن تكون غايتك كغاية يوسف عليه السلام، فإنَّ حياته المليئة بالأحداث بين محنة ومنحة، وبيع ومُلْك، وفراق واجتماع، ووحشة وأُنْس.

إلا أنه ختم قصته بقوله: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [يُوسُف: ١٠١].

وقال جدُّه الخليل: ﴿رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [الشُّعَرَاء: ٨٣-٨٥].

وقال حفيده سليمان: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النَّمْل: ١٩].

(١٧) «أطول الناس حزنًا من لاقىٰ الناس عن مرارة، وأراد تأخير من قدَّمه الله، أو تقديم من أخَّره الله فإخوة يوسف عليه السلام أرادوا أن يجعلوه في أسفل الجبِّ فرفعه الله فوق السرير!»، [لطائف الإشارات = تفسير القشيري: (٢/ ١٧٠)].



سورة الحجر

(١) بعضُ الناس إذا ابتلي بذنب ومعصية أدركه اليأس والقُنوط، فيدفعه إلىٰ الاستمرار بالذنب والمجاهرة به، والإصرار عليه.

وهذا كفعل إبليس، إذ قال لربه: (فأنظرني إلىٰ يوم يبعثون)[الحجر: ٦٦]، فسَأَل تأخير عذابه زيادة في بلائه كفعل الآيس من السلامة، نسأل الله العافية.

أمَّا آدم عليه السلام فإنه تاب فتاب الله عليه، ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

(٢) جاء قوله تعالىٰ: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ﴾ [الحجر: ٨٨] بعد قوله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَـٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾ [الحجر: ٨٧].

والمعنىٰ: «قد أغنيتك بالقرآن عمَّا في أيدي النَّاس، فإنَّه ليس منَّا من لم يتغن بالقرآن، أي ليس منَّا من رأىٰ أنَّه ليس يغنىٰ بما عنده من القرآن حتىٰ يطمح بصره إلىٰ زخارفِ الدنيا وعندَه معارِفُ المولىٰ»، [الجامع لأحكام القرآن: (١٠/٥٦)].



سورة الكهف

الكليم موسىٰ، والخضِرُ المعلَّم يستطعمان أهل قرية فيقابلوا بالرفْضِ والإِبَاء!

فأيُّ قيمة للدنيا إذًا؟!

قال سبحانه: ﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهۡلَ قَرۡيَةٍ ٱسۡتَطۡعَمَآ أَهۡلَهَا فَأَبَوۡاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا﴾ [الكهف: ٧٧]، «وهذه عبارةٌ مصرحةٌ بهوَان الدنيا علىٰ الله»، [المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: (٣/ ٥٣٣)].



سورة مريم

﴿ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ عَبۡدَهُۥ زَكَرِيَّآ﴾ [مريم: ٢] .. الذي أَعْلَن رحمة الله به، وأنه لم يخيب له دعاءً ﴿وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّٗا﴾ [مريم: ٤].

يقول: ولم أشْقَ يا رب بدُعَائِك، لأنَّك لم تخيب دعائي قبلُ إذْ كنت أدعوك في حاجتي إليك، بل كنت تجيب وتقضي حاجتي قِبَلَك.

وخافت الشريفة البتول مريم علىٰ عرضها، فاستعاذت بالرحمن، ليَقِيَها شرَّ من ظنَّت أنه يتهجم عليها، فأجابها أنَّه رسول ربها ﴿لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمٗا زَكِيّٗا﴾ [مريم: ١٩].

في ساعات الضيق = تكون الرحمة، ومع الشدَّة يأتي الفرج، إنَّنا نتعامل مع الله الرحمن .. الكريم .. اللطيف.

وحينها نطق عيسىٰ في المهد، ليعلن براءة أمه، وليخبر الناس -كل الناس- أنَّه عبد لله ..الله هو الحق، وهو الذي يظهر الحق، وهو الذي يقضي الحق، وهو خير الفاصلين.



سورة الأنبياء

لم تكن دعوةُ الأَنبياء مقصورة علىٰ بيان الحق وإيضَاحِه فحسْب، بل جمعوا إلىٰ ذلك هدم الباطل، وتقويض صروحه، وإعلانِ البراءة منه، ومن أتباعه، وبيان وجهه القبيح.

لقد قال الخليل لقومه: ﴿أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [الأنبياء: ٦٧]، وقال موسىٰ: ﴿رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ [القصص: ١٧].

ومن أصول الدين العظيمة الحبُّ في الله، والبغض في الله.



سورة الشعراء

إياك أن تهون من الوعظ، وترقيق القلوب:

فإنَّ قومًا بلغت بهم الحال إلىٰ أن صارت مواعظ الله، التي تذيب الجبال الصُّم الصلاب، وتتصدع لها أفئدة أولي الألباب، وجودها وعدمها -عندهم- علىٰ حد سواء = لقوم انتهىٰ ظلمهم، واشتد شقاؤهم، وانقطع الرجاءُ من هدايتهم.

ولهذا قالوا: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ﴾ [الشعراء: ١٣٦]! نسأل الله العافية.



سورة القصص

(١) العجيب أنَّ سورة القصص لا تحوي إلا قصة موسىٰ عليه السلام، وقصة قارون لعنه الله!

لكنها في حقيقتها قصص فريدة تمتزج امتزاجًا عجبًا.

تبدأ بذكر تمكين المستضعفين.

فقصة الطاغية.

فقصة وزير الطاغية.

فقصة جنود الطاغية.

فقصة أم موسىٰ.

فامرأة فرعون.

فأخت موسىٰ.

فنشأة موسىٰ.

فمعصية موسىٰ، وتوبته.

فصاحب سوء لا يأمر إلا بالشر، ولا يأتي منه إلا شر.

فرجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه، نصَّاح لموسىٰ، خائفٌ عليه وعلىٰ دعوته.

فهرب موسىٰ من مصر، وخوفه.

فمشهد مدين، وامرأتان تذودان لأن أباهما شيخ كبير.

فشهامة موسىٰ ومساعدته لهما علىٰ فاقته وجوعه.

فقصة الشيخ الكبير الذي آوىٰ موسىٰ وهدَّأ روعه.

فنعمة الله علىٰ الخائف الطَّريد بتزويجه وتعدُّد الإنعام عليه.

فقصة النور الذي آتاه الله لموسىٰ.

فقصة سؤال موسىٰ ربه أن ينعم علىٰ أخيه بالنبوة، لنعلم أنَّ الوظائف الدينية لا تتزاحم.

فقصص مجملة، تحوي مصير أمم أهلكها الله، قرىٰ طغت وتجبرت.

ثم قصَّة الطغيان الاقتصادي بذكر مثال له، وهو قارون.

فقصَّة الجهلة الذين فرحوا به وتمنوا حاله.

فدورُ أهل العلم في إصلاح رؤية الجهلة، لأنهم أبصَروا الحقيقة التي جهلها هؤلاء.

﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القَصَص: ٨٣].

فقصة خروج النبي ﷺ من مكة، ووعد الله له بالرجوع إليها في موعد يعلمه الله.

سبحانك . . سبحانك كل شيء هالك إلا وجهك، لك الحكم، وإليك المرجع.

(٢) ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝٥ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ﴾ [القَصَص: ٥-٦]!

تأمَّلوا هذه العظمة والإحاطة في الحديث عن المن، وجعل المؤمنين أئمة ورثة، والتمكين، والمكر بالظالمين!

إنَّ المُؤمن يأوي إلىٰ ركن شديد، فاللهم هيئ لنا من أمرنا رشدًا، وعليك بالظالمين ومن عاونهم.

(٣) أرسل الله تعالىٰ موسىٰ لفرعون (الذي يمثل سلطة الحكم)، وهامان (الذي يمثل سلطة الدين)، وجمع الله بينهما مع قارون (الاقتصاد)، فقال:

﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَـٰطِـِٔينَ﴾ [القَصَص: ٨].

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَقَـٰرُونَ﴾ [غَافِر: ٢٣-٢٤]، وغيرها.

فتأمَّل كيف جمع بينهما، ونسب الجنود لهما جميعًا!

فلكل فرعون هامان يخاف علىٰ سلطته ونفوذه، ويقلب الحق باطلًا والباطل حقًّا.

والله تعالىٰ ينتقم منهم جميعًا ويأذن بهلاكهم ليكونوا لمن خلفهم آية.

(٤) من شِيَم الكرام مساعدة من يحتاج المساعدة، عرفه أو لم يعرفه، طلب منه أو لم يطلب، ذكرًا كان أو أنثىٰ!

ألا ترىٰ إلىٰ الكليم، كيف حَمَله نبلُ أخلاقه وجميل صفاته، حين رأىٰ ابنتي الرجل الصالح تذودان، وسألهما: فأخبراه الخبر،

﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا﴾ [القَصَص: ٢٤]، بلا عوض طلبه، إلا الأجر من الكريم.

فأكرمه الله، وأمَّنَه، وزوَّجه، وصار من المرسلين.

(٥) ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾ [القَصَص: ٧٧]!

هكذا أهل العلم حين ينصحون، يوجزُون في اللفظ، ويبدعُون في المعنىٰ.

(٦) العالم بالله وأمره إن أبصَرَ الحق = بصَّر الناس به، وحثَّهم عليه!

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا﴾ [القَصَص: ٨٠]!

(٧) العلماءُ حقًّا لا يميلون لأهل الدنيا، ولا يلهثون وراءهم طلبًا لأموالهم، بل لهم عزة ومنعة، ونصحٌ لمن مَال: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا﴾ [القَصَص: ٨٠]!

وكم من عالم مَالَ لأهل الدنيا -بتأويل وبغير تأويل- فأفسدوا عليه دنياه وآخرته، وشانُوه واحتقروه.

ولو أنَّ أهل العلمِ صَانوه صانهم ولو عظَّموه في النفوسِ لعظما!

❁ ❁ ❁

سورة العنكبوت

(١) في سورة العنكبوت تثبيتٌ لأهل الإيمان أمام طواغيت الأرض، فيها ثباتٌ وصبر علىٰ المحن، فيها نصر لأهل الإيمان، فيها أن العاقبة لهم.

في سورة العنكبوت بيان أنَّ الأرض لله، وأنَّ فيها متسعًا لمن ضيق عليه في دينه.

فيها أمر ببلاغ القرآن . . بلاغ القرآن . . بلاغ القرآن، ووصف لحملته.

ذكر الله في سورة (العنكبوت) وَهَنَ الطواغيتِ وأتباعهم، وكيف أن الله أهلكهم وما كانوا سابقين.

فيها بيان لأهل الإيمان ألا يتخذوا من دون الله أولياء!

فيها بيان الجزاء الأخروي، وأنَّ الغُرَفَ للذين آمنوا وعملوا الصالحات، العاملين بأمر الله، الصابرين علىٰ نعمائه وبلائه.

فيها أن الرزق بيد الله لا بيد غيره.

فيها وفيها، فاملؤوا أَنفُسَكُم من الوحي، عظِّموه، أزيلوا به رانًا علىٰ هاتيك القلوب، وظلمة في تلك النفوس!

﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [ٱلْعَنكَبُوت: ٥١].

﴿وَمَا هَـٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [ٱلْعَنكَبُوت: ٦٤].

﴿وَٱلَّذِينَ جَـٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [ٱلْعَنكَبُوت: ٦٩].

إنه وحي فتعرضوا له!

(٢) إذا كان المقصدُ الله؛ ستجد المعِين الذي يأخذ بيدك إلىٰ الآخرة، فيصير لك وليًا حميمًا شافعًا.

وإذا كان المقصد غير الله؛ سيجد المعين كذلك، والمجامل، ومن لا يعتقد اعتقاده لكنه يريد دنياه.

لكن: سيكفر يوم القيامة بعضهم ببعض ويلعن بعضهم بعضًا!

قال الخليل: ﴿وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَـٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّـٰصِرِينَ﴾ [ٱلْعَنكَبُوت: ٢٥].

هؤلاء قومٌ أحب بعضهم بعضًا، بحيث لا يخالف أحدهم محبوبه وإن لاح له أنه علىٰ ضلال.

والعاقل من علم أنَّ اللذات العاجلة لا عِبرة بها إن كانت تَعقِبها ندامة آجلة.

«ويدخل في هذا كل من وافق أصحابه من أهل المعاصي أو البطالة على الرذائل ليعدوه حسن العشرة مهذب الأخلاق لطيف الذات، أو خوفًا من أن يصفوه بكثافة الطبع وسوء الصحبة.

ولقد عم هذا لعمري أهل الزمان ليوصفوا بموافاة الإخوان، ومصافاة الخلان، معرضين عن رضىٰ الملك الديان»، [نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: (١٤/ ٤٢٤)].

(٣) عملية الإصلاح شاقة لا تُنَال بالراحة، بل يُرحَل إليها علىٰ جسر من التعب، وفي آخر سورة العنكبوت، بعد الحديث عن الفتنة في الدين والدنيا، وَضَعَ العلاج فقال سبحانه الكريم:

﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩]!

فاصبروا، وصابروا، ورابطوا، واتقوا الله،

= لعلكم تفلحون.



سورة فصلت

(١) أتدري ما الأهوال؟!

أنَّ الإنسان قد يستخفي عن كل أحد، لكنه لن يستخفي عن جلده، ولا عن سمعه وبصره، وكيف يفعل وبهذه الآلات يستمتع؟!

وهذه الآلات نفسها هي التي تشهد عليه يوم القيامة، فتأمل هذا الحوار الذي أخبرنا الله عنه، بعد أن يختم الله علىٰ لسان العبد، ثم يأمر الجوارح فتتكلم، فيشهد علىٰ العبد ما لا يمكن أن يستتر عنه فقالوا:

﴿لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾ [فُصِّلَتْ: ٢١-٢٢]،

لكن المصيبة حقًّا هي الغفلة عن نظر الذي لا تخفىٰ عليه خافية،

﴿وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن يَصْبِرُواْ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ وَإِن يَسْتَعْتِبُواْ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ﴾ [فُصِّلَتْ: ٢٢-٢٤]!

فاللهم استرنا!

(٢) من استعْمَلَه الله تعالىٰ لدعوةِ الناس، والأخذ بأيديهم إلىٰ طريق الله = فإنه علىٰ خير عظيم، امتدحه الله، وأثنىٰ علىٰ أهله،

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فُصِّلَتْ: ٣٣].

فلله درهم كم من عاصٍ تاب بسببهم، وكم من ضالٍ رجع بجميل خطابهم، هم الأَدِلَّاءُ علىٰ الله، وقد حازوا شرف التبليغ عن رسول الله.

والرجل منهم، إن وقف علىٰ ما يحسن، ولم يتكلم إلا فيما يتقن، فقد فاز والله بخيري الدنيا والآخرة.

وكثيرٌ من العلماء والأئمة هداهم الله وسلك بهم طريق العلم بسبب داعية موفق، فكان العالم وما عمل في ميزان هذا الداعية.

(٣) القواعد العشر في الدعوة إلىٰ الله:

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۝٣٠ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ۝٣١ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ۝٣٢ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝٣٣ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ۝٣٤ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ۝٣٥ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [فُصِّلَتْ: ٣٠-٣٦].

القاعدة الأولىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾.

أعلن تدينك ولا تخفيه، أشهر سلوكك الإسلامي، وانتماءك الحضاري، وصبغتك الربانية، وكونك من أمة محمد ﷺ! عش بهذا المنطق، فاعرف ربك وعرف به.

القاعدة الثانية: ﴿ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾.

الاستقامة علىٰ قولك ربنا الله، فاستقم عليه عقيدةً وسلوكًا، ظاهرًا وباطنًا، خوفًا ورجاء؛ تكن من الصادقين.

القاعدة الثالثة: ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ﴾ إلى قوله تعالى ﴿نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾.

التبشير وعدم التنفير، وذلك ببناء الكلام في الدعوة إلىٰ الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ علىٰ قصد تحبيب العباد في رب العباد، وقلما ذكر

الترغيب في القرآن إلا وذكر معه الترهيب، فهما حقيقتان متلازمتان، إلا أن ضابط ذلك وجماعهما هو التحبيب.

القاعدة الرابعة: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾.

الدعوة إلىٰ الله لا إلىٰ ذات الهيآت والمنظمات، اجعل الله غايتك علىٰ كل حال، واتخذه هدفًا لدعوتك: تتعرف عليه وتعرف به؛ تكن أحسن القائلين في الدين.

القاعدة الخامسة: ﴿وَعَمِلَ صَـٰلِحًا﴾.

العمل الصالح أساس الدعوة إلىٰ الله، وعلىٰ رأسه الصلاة، فاجعل عملك صالحًا حتىٰ تكون به مصلحًا؛ ويأجرك الله مرتين.

القاعدة السادسة: ﴿وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾.

إعلان الانتماء لكل المسلمين، والحرص علىٰ عدم تفريق وحدتهم العامة.

القاعدة السابعة: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ﴾.

مبدأ ثابت من مبادئ القرآن، فاثبت عليه، لا يستوي الخير والشر، لا يستوي الحق والباطل، لا يستوي المعروف والمنكر، لا يستوي الكلام الطيب والكلام الخبيث.

القاعدة الثامنة: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾.

دفع الشر بالخير، وهي تفسير للقاعدة السابقة، وبيان لها، وتحقيق خاص لمناطها العام.

القاعدة التاسعة: ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾.

في الصبر علىٰ الأخذ بالمنهج القرآني، ذلك أنه يحمل النفس في معاشرة الناس علىٰ ما تكره، من تحمل الأذىٰ في الله، ودفع الشر بالخير، ودفع الجَهَلَةِ بالحكمة والموعظة الحسنة، ودفع العداء بالتي هي أحسن، كل ذلك شديد علىٰ النفس؛ لأنها جبلت علىٰ محبة ذاتها، والانتقام لها؛ ولذلك قال في القاعدة التالية: ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٥]، فدرب نفسك علىٰ الصبر حيث يجب الصبر، وعلمها كيف تكبح جماحها؛ حتىٰ لا ترد الجهل بالجهل، والشر بالشر؛ فتزيغ عن الصراط المستقيم.

القاعدة العاشرة: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾.

الحذر من الشيطان، يجب أن تعرف الشيطان وحيله الخبيثة، اعرف عدوك تنتصر عليه!

اعرف الشيطان؛ حتىٰ تعرف طبيعة العلاقة بينه وبين المسلم عمومًا، وبينه وبين الداعية إلىٰ الله خصوصًا، إنك إذ تدعو إلىٰ الله تقوم بهدم ما بناه إبليس اللعين؛ فتزداد عداوته لك أضعافًا مضاعفة، ولكنك إن اعتصمت بالله واستعذت به لن يصل إليك، فلا سلطان له علىٰ عباد الله الصالحين.

ملخصٌ من كتاب [بلاغ الرسالة القرآنية: (١٣١-١٤٤)].

(٤) الأمن كلُّ الأمن، أمن من ﴿يَأْتِيٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [فُصِّلَت: ٤٠]، والخوف كل الخوف: خوف ﴿أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ﴾ [فُصِّلَت: ٤٠].

فاعملوا ما شئتم، إن الله بما تعملون بصير!



سورة الأحزاب

من أعظم موارد السلوكِ الحق = معرفة أحوال رسول الله، وإدمان مطالعتها مرة تلو الأخرىٰ، وهي الحياة لمن أحسن التأمل ورزقه الله الفهم.

وربنا يقول: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١].



سورة سبأ

﴿وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ﴾ [سبأ: ٥٠]!

في الوحي هدايتك، فلا تطلبنَّها من غيره.



سورة فاطر، أو سورة الملائكة!

(١) هذه السورة تحتوي من شريف المعاني ما يبهر الألباب، ويستنطق القلوب بخشية الملك الجليل والإذعان له وحده لا شريك له.

في هذه السورة طمأنينة لأهل الإيمان، أن يثقوا بالله وحده، فما من نعمة إلا هي منه، فإن أمسكها فلا مرسل لها من بعده.

وفيها أنه لا يحيق المكر السيء إلا بأهله!

وفيها أمرٌ لأهل الإيمان بالعزة، وعدم الاستكانة والضعف.

وفيها تحذير من اتخاذ الشيطان وليًا، والأمر بإبداء العداوة له.

وفيها الآية الكاشفة:

﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنٗاۖ﴾ [فَاطِر: ٨]!

وبعد ذكر الآلاء والنعم، يقرر الله للإنسان حقيقة أمره، ويعلن له حقيقة نفسه وفقره:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ [فَاطِر: ١٥].

وفيها أن العلماء حقًّا هم أهل الخشية.

وفي السورة تنبيه عظيم علىٰ جلالة الكتاب، وفضل ورثته وحملته، وما أعد لهم من الخير، وما رفع عنهم من شر.

وفي الختام تقريع وتوبيخ للمشركين، إذ كيف يشركوا بالله الذي يمسك السماوات والأرض أن تزولا؟!

كيف يشركوا وقد طالعوا ما حل بالأمم قبلهم؟!

فالحمد لله فاطر السماوات والأرض، جاعل الملائكة رسلًا!

(٢) ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنٗاۖ﴾ [فَاطِر: ٨].

«يعني: كالكفار والفجار، يعملون أعمالًا سيئة، وهم في ذلك يعتقدون ويحسبون أنهم يحسنون صنعًا، أي: أفمن كان هكذا قد أضله الله، ألك فيه حيلة؟

لا حيلة لك فيه»، ابن كثير.

قلت: وممن يدخل تحت الآية من زَيَّن الشيطان لهم موالاة الظلمة والسعي في ركابهم، والصد عن أهل الخير، والسعي في إذايتهم.

ألا في الفتنة سقطوا، وفي الوحل ولغوا، ولتعرفنهم في لحن القول، والله يعلم إسرارهم.

وكم ممن زين له سوء عمله، فقُلبت عنده الحقائق، فصارت الشمس مظلمة، والعذب ملحًا أجاجًا، وصرت عندما تخاطبه كأنك تنفخ في غير فحم، وكأنك تقدح بزند مُصْلَد، وهذا لعمري هو الداء العَيَاء، نسأل الله العافية!.

(٣) ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾ [فَاطِر: ٣٤].

عبَّروا عن كل ما دون الجنة بالحزن، إذ كل سعادة قبل الجنة عابرة.

المؤمن في المنظور القرآني لا ينتظر البلاء، ولا تتوقف حياته علىٰ الخوف منه، لأن غاية الدنيا إلىٰ انقضاء، وانقضاء الحياة للمؤمن حَسَن الظن بربه = نهاية التعب والآلام، وبداية النعيم الأبدي، والراحة السرمدية.

ولذلك عبر أهل الجنة عما دونها بقولهم: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾ [فَاطِر: ٣٤].

المؤمن يعلم أنَّ الله جعل البلاء من سنن الدنيا، والبلاء في الدنيا له صور وأشكال متعددة:

فقد يُبتَلىٰ الإنسان بالخير كما يُبتَلىٰ بالشر.

﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأَنبِيَاء: ٣٥].

والمطلوب منه حال نزول البلاء، أن يذكِّر نفسه بأنه راجعٌ إلىٰ الله، حينئذٍ يهون عليه المصاب: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البَقَرَة: ١٥٦].

وإذا نزل البلاء بالمؤمن كان نظره للآخرة، وللجزاء الذي أعده الله للصابرين، ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزُّمَر: ١٠].

والبلاء ينزل ومعه اللطف الذي يشاهده أهل البصيرة ﴿إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [يُوسُف: ١٠٠].

وقد ابتلىٰ الله صفوة خلقه من أنبيائه ورسله بأنواع مختلفة من البلاءات فصبروا، فمنهم من ابتلي بأبيه، ومنهم من ابتلي بزوجته، ومنهم من ابتلي بابنه، ومنهم من ابتلي بقومه، ومنهم من ابتلي بمرض، ومنهم من ابتلي بمُلْك، ومنهم من ابتلي بسجن، ومنهم من ابتلي بتغريب، ومنهم من ابتلي بذنب!

والله تعالىٰ إنما قص علينا قصصهم لنعتبر بحالهم، ولنعمل بعملهم، ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يُوسُف: ١١١].

فاعتبروا يا أولي الأبصار!



سورة يس

﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَٰكِهُونَ﴾ [يسٓ: ٥٥].

لا تنشغل بشغل الدنيا عن شغل الآخرة، فإن فعلت فأنت مغبون، فإن كل نعيم هنا لا محالة زائلٌ، أما هناك فلك ما تدعي!

ولو علم أهل الجنة عمن شغلوا ما هَمَّهُم ما شُغِلوا به!



سورة الصافات

لا يُشَان الإنسان ولا يُحمد إلا بعمله، فلا يُشان بعمل فرع ولا أصل!

يقول ربنا سبحانه عن الأنبياء بعد ذكر فضائلهم ومحاسنهم: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ﴾ [الصافات: ١١٣]!



سورة ص

العاقل لا يلتفت إلىٰ كلِّ قول، ولا يشغل باله بكل أحد، فكثير مما يقال لا يلتفت له، ولا ينبغي أن ينشغل به!

ذكر الله عن قوم: ﴿وَقَالُوا۟ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ [سورة ص: ١٦]، فلم يكن الجواب إلا الإعراض:

﴿ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [سورة ص: ١٧].



سورة غافر

بيع الوهم!

عملية يجيدها الطَّاغية، ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ [غافر: ٢٩].

ويصدِّقها الدهماء، ﴿أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٧]!



سورة الزخرف

المؤمن لا ينبغي أن يُحجب بإِلْف العادة عن رؤية النعم، وشكر المنعم، وهي التي تقوده لتذكر الآخرة، والعمل لها.

﴿وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا۟ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾ [الزخرف: ١٢-١٤].



سورة الأحقاف

إذا لم تنتفع بالحق، ولم تعمل به، فلا تكن مسوِّغًا للباطل، ولا داعيًا إليه، فإنَّ هذا داء قديم حذر الله منه.

وقد يُسبق الإنسان في طريق الحق، فتأبىٰ نفسه أن يكون تابعًا، ولا ينبغي أن يكون ذلك حاجزًا عن اتباع الحق، فقد يَسبِقُ المتأخر.

قال الحق: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ ۚ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾ [الأحقاف: ١١].



سورة محمد ﷺ

في سورة القتال، سورة نبينا ومولانا وسيدنا محمد رسول الله ﷺ منهاج عظيم في الحياة.

ومن فوائدها الجليلة: النهي عن طاعة من كره ما نزل الله، والتي سماها الله ردة عن الحق بعد ما تبين، وكيف أنَّ الله يُمْلي لأناس ليخرج أضغانهم، وعن فائدة البلاء في التمحيص، وعن الحذر من الوعيد الشديد= آيات فيها معتبر لمعتبر، فاعتبروا يا أولي الأبصار، وأقبلوا علىٰ تأملها، وتنزيلها علىٰ قلوبنا!

﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ﴾ [مُحَمَّد: ١٨]؟!!



سورة الممتحنة

في سورة الامتحان، دعا الخليل ربه سبحانه قائلًا: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [المُمْتَحَنَة: ٥]، وما أعظمها من فتنة.

إنَّ الباطل إذا رأىٰ نفسه منتصرًا، ورأىٰ الغلبة له؛ زهد الناس في الحق، وزُلزل أهله، وبلغت قلوبهم الحناجر، وظنَّ بعضهم بالله الظنونا.

لكن الخليل نبه علىٰ أصول العلاج بعدها مباشرة ﴿وَٱغْفِرْ لَنَا﴾ [المُمْتَحَنَة: ٥] لأنك ربنا اغفر لنا ذنوبنا، واستر عيوبنا، وارفع ما بنا، ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ﴾ [المُمْتَحَنَة: ٥]، فلو شئت أظهرتنا عليهم، ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ [المُمْتَحَنَة: ٥] تفعل بحكمة،

ومن حكمته: تمييز أهل الإيمان الصادق، ذلك لتعلموا أن الله علىٰ كل شيء قدير، وأن الله قد أحاط بكل شيء علمًا.



سورة التحريم

الاستقصَاءُ في العتاب عادة غير المحب، وما استقصىٰ كريمٌ قط!

ألم تر أنَّ الله ذكر عتاب نبيه لبعضِ أزْوَاجِه، فقال: ﴿عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ﴾ [التحريم: ٣].



سورة نوح

(١) في قصة نبي الله ورسوله نوح عبر كثيرة، وإحدىٰ هذه العبر، تلك النفس العظيمة التي كان يحملها نوح صلوات الله وسلامه عليه.

لقد ابتُلي نوح في محيطه الداخلي بامرأة كافرة، وولد غير مطيع كافر هو الآخر!

نبي تكفر امرأته وولده، لك أن تتصور ما يعانيه، وهو أعظم موحد في الأرض وقتئذٍ.

ومع هذا الصراع ظل يدعو قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا، ليلًا ونهارًا، سرًّا وجهارًا، لم يفتر عن دعوته قط، لم يتعلل بمشاكله الخاصة، بل ظل ساعيًا نحو الهدف الذي بعث لتحقيقه.

صل اللهم وسلم علىٰ عبدك ورسولك نوح، وعلىٰ نبينا محمد وسائر الأنبياء والمرسلين.

(٢) وقال نوح النَّبي ﷺ في الدعاء: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [نُوح: ٢٨]!

قال بعض العلماء: «إنَّ الإله الذي استجاب لنوح عليه السلام فأغرق بدعوته جميع أهل الأرض الكفار = حقيق أن يستجيب له فيرحم بدعوته جميع المؤمنين والمؤمنات».



سورة المعارج

تأمَّل في القرآن المجيد وصف اللطيف الخبير للإنسان، وما يعتريه من هَلَعٍ!

تأمل هذه الكلمة جيدًا، وما احتوت عليه حروفها من وصف بليغ عجيب ابتداءً من (الهاء)، وانتهاءً بالعين.

إنه جزوع إذا نزل به البلاء.

تريد العلاج؛

﴿إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ﴾ [المَعَارج: ٢٢]!



سورة النازعات

﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا﴾ [النَّازِعَاتِ: ٤٦]!

«تنطوي هذه الحياة الدنيا التي يتقاتل عليها أهلها ويتطاحنون، والتي يؤثرونها ويدعون في سبيلها نصيبهم في الآخرة، والتي يرتكبون من أجلها ما يرتكبون من الجريمة والمعصية والطغيان، والتي يجرفهم الهوىٰ فيعيشون له فيها . . .

فإذا هي عندهم عشية أو ضحاها!

أفمن أجل عشية أو ضحاها يضحون بالآخرة؟!

ومن أجل شهوة زائلة يدعون الجنة مثابة ومأوىٰ!

ألا إنها الحماقة الكبرىٰ التي لا يرتكبها إنسان يسمع ويرىٰ!»، سيد قطب.



سورة عبس

﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ﴾ [عَبَسَ: ١٧-٢٣]

هذه حياة الإنسان، باختصار موجز، وتفصيل عميق، لله ما أعظم هذا الكلام! وسبحان من هذا كلامه.



سورة الفجر

تأمل!

يقول الله اللطيف الخبير: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا﴾ [الفجر: ١٥-١٧]

ويقول: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ﴾ [المعارج: ١٩-٢٢].

هذه بعض صفة الإنسان -وكلنا إنسان-، وأما علاجه ففي الآيات التالية للآيات السابقة.



سورة الزلزلة

﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧-٨].

تلك حقيقة لا بد أن تنظر إليها، فلا تحقِرَنَّ عملًا!



(٢)

منشورات قرآنية

١- «انظر تصويرَ القرآنِ للجُهد العنيف الذي بذله الرجل في إصدار حكمه، حيث يقول: ﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ۝١٨ فَقُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ ۝١٩ ثُمَّ قُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ ۝٢٠ ثُمَّ نَظَرَ ۝٢١ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ۝٢٢ ثُمَّ أَدۡبَرَ وَٱسۡتَكۡبَرَ﴾ [المدثر: ١٨-٢٣]، ومعنىٰ هذا كلّه أنه كان يقاوم فطرته، ويستكره نفسه علىٰ مخالفة وجدانه، وأنه كان في حيرة وضيق بما يقول .. وأخيرًا استطاع أن يقول ما قال نزولًا علىٰ إرادة قومه»، [النبأ العظيم: (١٢٢)].

٢- القرآنُ المجيد لا تنقضي عجائبه.

وآيةُ ذلك أن الناس يَرِدُونَه، ويصدر كل منهم بما لم يخرج به صاحبه، وهو علىٰ ما هو عليه معين لا ينضب!

وإن أردت أن تقف علىٰ شيء من ذلك، فتأمَّل تفاسير المحققين من أهل العلم.

تجد الواحد منهم يستفرغ مجهوده في إيراد ما يمكن إيراده، ويستدرك المتأخر ما أغفله المتقدم.

ولا يزال الناس يأخذون منه، ويتمتعون بما فيه، لا حرمَنَا الله لذَّة فهمِه، وجعله لقلوبنا ربيعًا.

٣- من أخبار أهل القرآن:

* «كان ابن القَلَّال لا يُجيز أحدًا ممن يقرأ عليه إلا بتعنت، وقد رحل إليه شخص من بلاد بعيدة، فلما أكمل عليه القراءات سأله الإجازة، فتعنت عليه، فشقَّ ذلك عليه وتوجه مكسور الخاطر وبات تلك الليلة، فرأىٰ النَّبي ﷺ في النوم، فكأنه سأله عن حاله، فأخبره، وشكا إليه من قول الشيخ.

فقال له ﷺ: (لا عليك! ارجع إليه غدًا، وقل له: بأمارة زمرًا زمرًا).

فلما أصبح غدا إلىٰ الشيخ وأخبره الخبر.

فقال: صدقت يا بني، وبكىٰ، واستغفر الله مما مضىٰ، وعاهد ألا يأخذ شيئًا ممن يقرأ عليه، وأجازه.

فسئل عن ذلك فقال: كنت ليلة أقرأ فوصلت إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ [فاطر: ٣٢] الآية .. حتىٰ قرأت ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾ [فاطر: ٣٣]، فقلت في نفسي أيدخلون الجنة كلهم جملة واحدة، أو كيف؟!

ثم نمت، فرأيته وهو يقول: (زمرًا زمرًا)!» [غاية النهاية في طبقات القراء: (١/ ٥٥٢)].

*** صحبة نادرة، وفعل الوشاة:**

ذكر الإمام ابن الجزري في جامع أسانيده صحبة نادرة بين الإمامين العالمين المقرئين:

محمد بن أحمد بن جابر الهواري، وأحمد بن يوسف بن مالك.

وذكر أنهما ولدا سنة ثمان وسبعمئة.

وأنهما اتحدا في المحبة والصفاء حتىٰ صارا كنفسٍ واحدة!

لا يمتاز أحدهما عن الآخر في ملبس، ولا مطعم، حتىٰ إنَّ أحدهما لو لبس ثوبًا يلبس الآخر مثله وشكله، ويجلسان للإفادة معًا.

قال أبو الخير: «ورأيت منهما في ذلك ما لم أره ولا سمعته».

وقال السخاوي: «وأخوة هذين الشيخين واتحادهما واتفاقهما في الأخلاق والأقوال والأفعال لم أر مثلها، ولم أسمع بذلك.

ولا يملك أحدهما دون أخيه شيئًا، ولا يتخصص عنه بشيء من أمور الدنيا قل أو جل.

ولا يلبس أحدهما غير ملبس الآخر، لكل واحد منهما مثل ما لصاحبه، إن فصَّلا ثيابًا فمن نوع واحد، ولون واحد، لا يمكن أن يغير أحدهما لباسًا دون الآخر، ويأكلان جميعًا، ويرقدان جميعًا في بيت واحد.

وأعرضا معًا عن التزوج والتسري رغبة في دوام الصحبة، وخوفًا من أسباب الفرقة، وكان معهما مملوك لهما يخدمهما»!

وقد نظم الأول قصيدة بديعة مطلعها:

بطيبة انزل ويمم سيد الأمم　　　وانشر له المدح وانثر أطيب الكلم
وابذل دموعَكَ واعذِل كلَّ مصطبرٍ　　　والحق بمن سار والْحظْ ما علىٰ العلم

وقد شرحها صاحبه الآخر!

حصول الفرقة:

قال ابن الجزري: «وقد بلغنا وفاة الشيخين المذكورين بعد أن فرَّق الوشاة بينهما فافترقا:

وكـــل أخ مـــفـــارقـــه أخـــوه　　　لـعـمـر أبـيـك حـتـىٰ الـفـرقـدان

رحمهما الله فقد كانا من محاسن الدهر»، [التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة: (٢/ ٤٢٣)].

٤- بشاعة الكفر، وسوء حال الكافرين.

ينبغي أن نركز علىٰ بشاعة الكفر، وأن نوصل للناس مدىٰ السوء الذي يصل إليه الكافر برب العالمين.

إنَّ من أسئلة القرآن المجيد: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَـٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البَقَرَة: ٢٨]؟.

لقد أصبح كثير من أهل الإسلام لا يعي حقيقة الكفر، ولا بشاعته، ولذلك يقع استغراب كثير منهم لمعاني ذم الكفر، وعاقبته التي وردت في الآيات والأحاديث، إنَّ بشاعة الكفران برب العالمين لا تعدلها بشاعة.

وإن ابن جدعان لن يدخل الجنة، لأنه لم يقل يومًا: «رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين!».

٥- يا بني:

* وقال يومًا:

يا بني: تعوذ بالله من علم لا ينفع، فإنَّ العلم يكون وبالًا علىٰ صاحبه إن هو لم يعمل به..

يا بني: تعوذ بالله أن تكون ممن ركن إلىٰ الذين ظلموا..

يا بني: إنَّ مثل العالم الذي يمشي في ركاب الظالمين، كمن عمد إلىٰ ثوب أبيض نقي، فوضعه في أنتن ما يكون في الدنيا..

يا بني: لا تأمنن الفتنة علىٰ نفسك، فإنهم أمنوا!

يا بني: خف عذاب الله، ويوم العرض عليه..

يا بني: إن لم تنطق بحق، فاسكت عن الترويج للباطل..

يا بني: إياك أن تمدح ظالمًا، وأن تعينه، فإنَّ من أعان ظالمًا بلي به، وسلطه الله عليه!.

* وقال لي الشيخ يومًا:

واعلم يا بني أنه بقدر نقص وردك من القرآن، تذهب البركة عنك.

فإن رمت البركة فتعرض للكتاب، فإنه كلام الأكرم، الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم.

* وسألته: ما الخسران؟

قال: اعلم أنه مراتب؛

أولاها: أن يخسر الإنسان نفسه.

وثانيها: أن يخسر أهله.

ذلك هو الخسران المبين!

فقلت له: وكيف يخسر الإنسان نفسه؟

فقال: يا بني إنَّ العبد إذا كان لله = كان الله له،

وإذا لم يكن لله = لم يكن الله له.

فكيف تكون نفسه له؟.

* وقرأت عليه ذات مرة من سير الصالحين، وجعلت أعجب من طول صلاتهم، وحسن عبادتهم!

فنظر إلي متبسما، وقال: أراك تتعجب؟!

ثم أردف قائلًا: يا بني لا تنظر إلىٰ كمال النِّهاية، ولاحظ نقصَ البداية، ادْرج كما درجوا تصل كما وصلوا!.

* وسألته: أين المنتهىٰ؟!

قال: إلىٰ الله!.

* وسألته أين الأمل؟!

قال: في الباقيات الصالحات.

* وبادرني مرةً بلا سؤال قائلًا: لا ترض رتبة الواصفين، واسلك مع السالكين!

فقلت يا سيدي: أخبرني عنهم؟!

قال: إنَّ مثل الواصف كمثل رجل قرأ في الكتب القديمة وصفهم للطريق إلىٰ ديار الأفراح، فأيقن بها وآمن، وعرف الطريق ومسالكه، فجعل يصفه للناس، وهم يظنون من حلاوة وصفه أنه يعرفه معرفة من سلك، فجعلوا يذهبون إليها واحدًا تلو الآخر، والواصف لم يبرح بلاد الأتراح!

وبذلك، قد عرفت السالك، فبضدها تتميز الأشياء!.

* وسألته: ما المؤثر؟!

قال: القرآن.

قلت: وما المحل القابل؟!

قال: القلب الحي.

قلت: وما الشرط؟!

قال: الإصغاء.

قلت: وما المانع؟!

قال: اشتغال القلب وذهوله عن معنىٰ الخطاب، وانصرافه عنه إلىٰ شيء آخر.

قلت: وما الأثر؟!

قال: التذكر.

قلت: من أين سيدي؟!

قال: من قوله سبحانه: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [سورة ق: ٣٧]!.

* وسألته: ما الغاية الكبرىٰ؟!

فأجاب: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ٧٢].

* وسألته: ما مكابدة القرآن؟!

فقال يا بني: معاناة معانيه إدراكًا لحقائقه لهيبًا يحرق باطن الإثم من نفسك، لأخذ حظك من النور!

قلت: وما الطريق إليه؟!

قال: تكَلَّفْه حتىٰ يصير التكلف طبعًا، فالنفس معتادة متحملة لما تتكلف، هي النفس ما عودتها تتعود!.

* وسألته عن سبب إتقانه للقرآن!

فقال: يا بني دع عنك كل شيء، ما حفظنا القرآن إلا في جَوْفِ الليل.

٦- كثير مما كتب، ويكتب عن تدبر القرآن = مكرورٌ لا إبداع فيه!

الإبداع: أن تخوض التجربة!.

٧- «انظر إلىٰ موسىٰ -صلوات الله وسلامه عليه- رمىٰ الألواح التي فيها كلام الله الذي كتبه بيده فكسرها، وجر بلحية نبي مثله، وهو هارون، ولطم عين ملك الموت ففقأها، وعاتب ربه ليلة الإسراء في محمد ﷺ ورفعه عليه = وربه تعالىٰ يحتمل له ذلك كله، ويحبه ويكرمه، لأنَّه قام لله تلك المقامات العظيمة في مقابلة أعدىٰ عدو له، وصدع بأمره، وعالجَ أمتي القبط وبني إسرائيل أشد المعالجة، فكانت هذه الأمور كالشعرة في البحر.

وانظر إلىٰ يونس بن متىٰ حيث لم يكن له هذه المقامات التي لموسىٰ، غاضب ربه مرة، فأخذه وسجنه في بطن الحوت، ولم يحتمل له ما احتمل لموسىٰ، وفرق بين من إذا أتىٰ بذنب واحد، ولم يكن له من الإحسان والمحاسن ما يشفع له، وبين من إذا أتىٰ بذنب جاءت محاسنه بكل شفيع، كما قيل:

وإذا الحبيب أتىٰ بذنب واحد ... جاءت محاسنه بألف شفيع

فالأعمال تشفع لصاحبها عند الله، وتذكر به إذا وقع في الشدائد» . . ابن القيم (ت: ٧٥١) ناقلًا عن الشيخ الإمام (ت: ٧٢٨)، [مدارج السالكين: (١/٥٠٦)].

٨- فريدريك ديني -كاتب غير مسلم-.

تذَكَّر (التجربة الرائعة المقلقة) التي يمارسها الإنسان أحيانًا وهو يقرأ القرآن . . عندما يبدأ القارئ في الشعور (بحضور غامض، ومخيف أحيانًا) . . فبدلًا من قراءة القرآن، يبدأ القارئ يشعر أن (القرآن هو الذي يقرأ القارئ).

وصدق والله في قوله: (يقرأ القارئ)، ويكشف أغوار نفسه!.

٩- «كلما ازداد [الإنسان] بصيرة بأسرار اللغة، وإحسانًا في تصريف القول، وامتلاكًا لناصية البيان، ازداد بقدر ذلك هضمًا لنفسه، وإنكارًا لقوته، وخضوعًا بكليته أمام أسلوب القرآن»، [النبأ العظيم: (١١٠)].

١٠- من لم يكابد حقائق القرآن لهيبًا = يحرِّق باطن الإثم من نفسه، فلا حظ له من نوره!.

١١- «يرحم الله السلف الصالح، فلقد بالغوا في وصية كل ذي عقل راجح، فقالوا:

مهما كنت لاعبًا بشيء فإياك أن تلعب بدينك»!، [المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم: (٦/٢٠٨)، الجامع لأحكام القرآن: (١١/٢٨)].

١٢- «ليس كل ما يتعسفه بعض المعربين، أو يتكلفه بعض القراء، أو يتأوله بعض أهل الأهواء مما يقتضي وقفًا وابتداءً ينبغي أن يتعمد الوقف عليه.

بل ينبغي تحري المعنىٰ الأتم والوقف الأوجه.

وذلك نحو الوقف علىٰ ﴿وَٱرْحَمْنَآ أَنتَ﴾ [البَقَرَة: ٢٨٦]، والابتداء ﴿مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا﴾ [البَقَرَة: ٢٨٦] علىٰ معنىٰ النداء!»، [النشر: (١/ ٢٣١)].

١٣- السور التي كان النَّبي صلوات الله وسلامه عليه يكررها (كالسجدة والإنسان والأعلىٰ والغاشية)، وكذلك التي ثبت عن كثير من السلف تكرارها = من أعظم ما ينبغي علىٰ المسلم أن يعرف معانيها، ويحسن تأملها.

ولو أحسن المؤمن تأمل هذه السور، لوجدها تعالج شيئًا كثيرًا مما يعاني منه في هذه الحياة.

وتأمل -مثلًا- أن سورة الكهف فيها خارطة النجاة من فتن تحدق بالمرء إن انفك من واحدة وقع في الأخرىٰ، وهي:

١- الفتنة في الدين.

٢- فتنة المال.

٣- فتنة العلم.

٤- فتنة الرياسة ومنها: الشهرة.

فتأملوا يا عباد الله، فإنه من رجا لقاء ربه فعليه أن يعمل عملًا صالحًا ينجيه مع سلامة قلبه من الشرك.

١٤- أن تُثوِّر القرآن = فهذا من أعظم درجات السالكين، والطريق إلىٰ علم الأولين والآخرين.

أن تَثُورَ عليه، فتترك ثوابته وراءك ظهريًا = فهذا أكبر الخزي والعار.

١٥- أحبُّوا القرآن فإنَّ محبته طريق إلىٰ الجنة!

عن أنس بن مالك رضي الله عنه، كان رجل من الأنصار يؤمهم في مسجد قباء، وكان كلما افتتح سورة يقرأ بها لهم في الصلاة مما يقرأ به افتتح: بـ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] حتىٰ يفرغ منها، ثم يقرأ سورة أخرىٰ معها، وكان يصنع ذلك في كل ركعة، فكلمه أصحابه، فقالوا: إنك تفتتح بهذه السورة، ثم لا ترىٰ أنها تجزئك حتىٰ تقرأ بأخرىٰ، فإما تقرأ بها وإما أن تدعها، وتقرأ بأخرىٰ فقال: ما أنا بتاركها، إن أحببتم أن أؤمكم بذلك فعلت، وإن كرهتم تركتكم، وكانوا يرون أنه من أفضلهم، وكرهوا أن يؤمهم غيره، فلما أتاهم النَّبي ﷺ أخبروه الخبر، فقال: «يا فلان، ما يمنعك أن تفعل ما يأمرك به أصحابك، وما يحملك علىٰ لزوم هذه السورة في كل ركعة» فقال: إني أحبها، فقال: «حبك إياها أدخلك الجنة» [رواه أحمد: (١٢٤٣٢)].

١٦- «من ادَّعىٰ فهم أسرارِ القرآن، ولم يحكم التفسير الظاهر = فهو كمن ادعىٰ البلوغ إلىٰ صدر البيت قبل تجاوز الباب!»، [إحياء علوم الدين: (١/ ٢٩١)].

١٧- كل قلب يحتاج إلىٰ تثبيت، ومن أعظم الطرق التي يثبت بها القلب:

أولًا: تلاوة الكتاب، فهمًا وتدبرًا: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا﴾ [الفرقان: ٣٢]، ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ١٠٢].

ثانيًا: مطالعة القصص، وقصصِ القرآن خاصة، قال سبحانه: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [هود: ١٢٠].

١٨- من أراد أن يتذكر بالقرآن حقًّا، فالطريق الواضح في قوله سبحانه:

إنَّ في ذلك لذكرىٰ:

- لمن كان له قلب.

- أو ألقىٰ السمع.

- وهو شهيد.

فإذا قرأت القرآن بقلبك الحي، مع الإصغاء التام، وترك الانشغال، حصلت النعمة الكبرىٰ، والنعيم المقيم، وكتبت في الذاكرين!.

١٩- القرآن . . والعبادة الموسمية

بعض الناس يتعامل مع الكتاب العزيز تعاملًا موسميًا، فلا يقترب منه إلا في مواسم الطاعة خاصة (رمضان).

وهؤلاء لن يُحرموا نور الكتاب -بإذن الله الكريم-، لكنهم لن يحصِّلوا من هذا النور إلا بمقدار القرب من الكتاب.

وصاحب الهمة، طالب النور، لا بد أن يزداد قربه من الكتاب يومًا بعد يوم، وهو بهذا آخذ في الاهتداء بنور الكتاب، دافعٌ للران الموجود علىٰ القلب.

وتذكروا قول ربنا عن الكتاب: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ﴾ [فُصِّلَت: ٤١].

فبقدر قُربك = يكون أَخْذُكَ!.

٢٠- قال الإمام أبو سعيد المصري المقرئ عثمان بن سعيد الملقب بورش:

«خرجتُ من مصر، لأقرأ علىٰ نافع، فلما وصلت إلىٰ المدينة، صرت إلىٰ مسجد نافع، فإذا هو لا يطاق القراءة عليه من كثرتهم، وإنما يقرئ ثلاثين.

فجلست خلف الحلقة، وقلت لإنسان: من أكبر الناس عند نافع؟ فقال لي: كبير الجعفريين، فقلت: فكيف به؟ قال: أنا أجيء معك إلىٰ منزله.

وجئنا إلىٰ منزله، فخرج شيخ فقلت: أنا من مصر، جئت لأقرأ علىٰ نافع، فلم أصل إليه، وأخبرت أنك من أصدق الناس له، وأنا أريد أن تكون الوسيلة إليه، فقال: نعم وكرامة.

وأخذ طَيلسَانه ومضىٰ معنا إلىٰ نافع، وكان لنافع كنيتان، أبو رويم وأبو عبد الله فبأيهما نودي أجاب، فقال له الجعفري: هذا وسيلتي إليك، جاء من مصر ليس معه تجارة، ولا جاء لحج، إنَّما جاء للقراءة خاصة.

فقال: ترىٰ ما ألقىٰ من أبناء المهاجرين والأنصار، فقال صديقه: تحتال له، فقال لي نافع: أيمكنك، أن تبيت في المسجد؟ قلت: نعم، فبتُّ في المسجد فلما أن كان الفجر جاء نافع.

فقال ما فعل الغريب؟ فقلت: ها أنا رحمك الله، قال: أنت أولىٰ بالقراءة، قال: وكنت مع ذلك حَسَنَ الصوت، مدَّادًا به، فاستفتحت فملأ صوتي مسجد رسول الله ﷺ.

فقرأت ثلاثين آية فأشار بيده أن اسكت فسكت، فقام إليه شاب من الحلقة، فقال: يا معلم أعزك الله، نحن معك وهذا رجل غريب.

وإنَّما رحل للقراءة عليك، وقد جعلت له عشرًا وأقتصر علىٰ عشرين فقال: نعم وكرامة، فقرأت عشرًا فقام فتىٰ آخر، فقال كقول صاحبه فقرأت عشرًا وقعدت واقتصرت علىٰ عشرين، حتىٰ لم يبق له أحد ممن له قراءة.

فقال لي: اقرأ فأقرأني خمسين آية فما زلت أقرأ عليه خمسين في خمسين حتىٰ قرأت عليه ختمات قبل أن أخرج من المدينة.

ترىٰ كيف كان صوت ورش وهو يقرأ بين يدي نافع، وهو في مسجد سيدنا رسول الله؟!!

اللهم ارض عن عبدك عثمان بن سعيد، وارزقنا تلاوة غضة طرية»، [معرفة القراء الكبار علىٰ الطبقات والأعصار: (٩٢)].

٢١- زيت القرآن براقٌ قابل للاشتعال، فإن اشتعل= فالخير لك! فقط: افرك الحجر، أو اقدح الكبريت.

٢٢- من الأعمال التي تجعلك أقرب للقرآن:

حفظ المفصَّل، مع حرص علىٰ تفقه في معانيه، وتقليب وتثوير لما تحمله سور هذا الجزء وآياته، وقيام لليل بها، فإنَّ ذلك والله خير عظيم.

٢٣- «ليس التجويد بتمضيغ اللسان، ولا بتقعير الفم، ولا بتعويج الفك، ولا بترعيد الصوت، ولا بتمطيط الشد، ولا بتقطيع المد، ولا بتطنين الغُنَّات، ولا بحَصْرمة الراءات، قراءة تنفرُ عنها الطباع، وتمجُّها القلوب والأسماع.

بل القراءة السهلة العذبة الحلوة اللطيفة، التي لا مَضْغ فيها ولا لَوْك، ولا تعسُّف ولا تكلف، ولا تصنع ولا تنطع، لا تخرج عن طباع العرب وكلام الفصحاء بوجه من وجوه القراءات والأداء»، [أبو الخير ابن الجزري (ت: ٨٣٣) في النشر: (١/ ٢٣١)].

٢٤- هناك عدة ختمات يمكن للمرء أن ينجزها في شهر رمضان وغيره، وهي لا تحتاج إلىٰ وقت طويل ومنها:

أولًا: ختمة الغريب، بأن يمر القارئ علىٰ القرآن كاملًا مع ملاحظة الكلمات الغريبة ومراجعتها في كتاب من كتب غريب القرآن، ككتاب د. محمد الخضيري: (السراج في بيان غريب القرآن).

ثانيًا: ختمة التعرف علىٰ سور المصحف الشريف، بأن يعرف القارئ أسماء السورة، وفضلها، وموضوعاتها، ومقاصدها، وأقترح كتاب الشيخ محمد نصيف: (بطاقات التعريف بسور المصحف الشريف)، أو كتاب الدكتورة منيرة الدوسري: (أسماء سور القرآن وفضائلها)، أو كتاب الشيخ أحمد الطويل: (محتويات سور القرآن).

ثالثًا: ختمة هدايات الأجزاء، وتهدف للتعرف علىٰ هدايات الأجزاء المتلوة في صلاة القيام.

رابعًا: ختمة المعنىٰ الإجمالي للسور التي تكرر قراءتها: (الفاتحة - الكهف - السجدة - الإنسان - ق - القمر - الملك - الأعلىٰ - الغاشية - الكافرون - الإخلاص - المعوذتين).

خامسًا: ختمة المعنىٰ الإجمالي للسور التي وردت في شأنها فضائل خاصة، ويمكن معرفتها من كتاب: (الصحيح في فضائل القرآن وسوره وآياته)، د. فاروق حمادة.

٢٥- تأويل كلام الله تعالىٰ لا يكون بالظنون ولا بالتخرصات.

بل للتفسير آلة كغيره من العلوم، من لم يحصلها يحرم عليه أن يُقدِم علىٰ كتاب الله بالتأويل والبيان.

وقد وضع لَبِنة هذه الأصول الرسول ﷺ، فأصل تفسير القرآن باللغة، وحجيتها، وحجية كلام الصحابة وفهمهم، وكون التفسير النبوي أحد المصادر، وأنه صلوات الله وسلامه عليه المفسر الأول . . . . إلىٰ غير ذلك = يمكننا أن

نأخذه من حديث واحد، وهو: استشكال الصحابة لقوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢].

ودَرَجَ الصحابة علىٰ هذه الأصول، وخطَّأوا من تأول القرآن بغير أصل كما في تخطئتهم الخوارج، والرافضة، والقدرية، وسائرِ أهل الضلالات في عصرهم.

وبعد ذلك اتخذ أهلُ التفسير من الأئمة المجتهدين الناقدين هذه الأصول واستبطنوها في كتبهم، وتوالىٰ العلماء علىٰ نقد كل تفسير يخرج عن الأصول المقررة، ولو كان من إمام، كما فعلوا مع بعض تأويلات مجاهد مع إمامته وفضله.

٢٦- للقرآن المجيد أثرٌ عظيم في تثبيت القلب أيام المحن، وأوقات نزول البلايا والفتن!

بل إنَّ هذا من مقاصده، كما قال سبحانه: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ١٠٢]، وقال سبحانه: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [هود: ١٢٠].

ولا يظننَّ ظان أن العودة إلىٰ القرآن، وتربية النفس علىٰ تلقي آياته نوع من الهروب من الواقع!

= بل إنَّ كثيرًا من الضَّعف والوَهَنِ الذي يدب في النفوس سببه الرئيس ضعف الإيمان!

ووصل الحال ببعض الناس إلىٰ التشكيك في القدر، وظنِّ الظنون بالرب تعالىٰ، ولو أنهم أقبلوا علىٰ كتاب ربهم لكان شفاءً لنفوسهم، وطُهْرَة لقلوبهم!

ولعلك تتأمل سورة الأحزاب -مثلًا-، واجتماع الكفار علىٰ رسول الله وأصحابه، حتىٰ وصفهم الله بألفاظ جليلة تبعث في النفس ما كان عليه الأصحاب من زلزلة ووهن، ثم تأمل في تخذيل المنافقين لإخوانهم من أهل الإيمان، ثم تأمل في الذين آمنوا، وبم اتصفوا لينصرهم الله علىٰ الأحزاب!

= إنك إن فعلت فستجد خيرًا كثيرًا!.

٢٧- والله تعالىٰ يبتلي العبد ليلجَأَ إليه، ويتمسَّك بحباله، فأيُّ عبدٍ ذلك الذي لا يرىٰ لطفه في بلائه، وحكمته في مصابه، والدنيا مطبوعة علىٰ الكبد، وليس فيها مستراح لمؤمن، والحزن كل الحزن يذهب في الجنة، والله غفور شكور!

وكلما ازداد (العبد) علمًا وإيمانًا = ظهر له من حكمة الله ورحمته ما يبهر عقله، ويبين له تصديق ما أخبر الله به في كتابه.

٢٨- الترياقُ المجرب!

كان صالح المري إذا قص [أي: وعظ] قال: «هات جونة المسك والترياق المجرب -يعني القرآن-!

فلا يزال يَقرأُ ويدعو ويبكي حتىٰ ينصرف»، [الترياق: الدواء].

٢٩- يبعث القرآنُ في النفوس ما يعجز الإنسان عن الإحاطة به، وما ذلك إلا أنه روح يغذي الأرواح وتلك لغة قد يعجز البيان عن إدراك أسرارها!

أحيانًا يستوقفك قارئ ما، في آية قد تمر عليها وتكر، لكنها تصادف منك محلًا خاليًا فتدهشك، وتحدث في نفسك وجدًا، وأحوالًا.

﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥]!.

٣٠- يشكو كثير من الناس في شهر رمضان من عدم استطاعته الإقبال علىٰ القرآن، وما ذلك إلا من هجران طويل سبقه، والقرآنُ كتاب عزيز، يحتاج إلىٰ طول مصاحبة، وحسن مِراس!

وهو أشد تفصِّيًا من الإبل في عقلها.

فأقبل علىٰ القرآن تصالحًا، ودرسًا، عسىٰ أن يفتح الكريم أبوابه للطالبين.

٣١- «من أدرك علم أحكام الله في كتابه نصًّا واستدلالًا، ووفقه الله للقول والعمل بما علِم منه: فاز بالفضيلة في دينه ودنياه، وانتفت عنه الرِّيَب، ونَوَّرت في قلبه الحكمة، واستوجب في الدين موضع الإمامة.

فنسأل اللهَ المبتدئَ لنا بنعمه قبل استحقاقها، المديمَها علينا مع تقصيرنا في الإتيان إلىٰ ما أوجب به من شكره بها، الجاعِلَنَا في خير أمة أخرجت للناس: أن يرزقنا فهمًا في كتابه، ثم سنة نبيه، وقولًا وعملًا يؤدي به عنا حقه، ويوجب لنا نافلة مزيدة.

فليست تنزل بأحد من أهل دين الله نازلة إلا وفي كتاب الله الدليلُ علىٰ سبيل الهدىٰ فيها»، الإمام الشافعي رضي الله عنه (ت: ٢٠٤) في [الرسالة].

٣٢- قصَّ الله علينا قصة الإنسان الأول عليه السلام، وهي قصة كل إنسان من ذريته، فينبغي أن تُخصَّ بمزيد تأمل.

وآية ذلك:

أن الله قص علينا -مثلًا- وقوع المعصية منه عليه السلام، ثم اجتباه ربه فتاب عليه، وهدىٰ.

لقد وقع آدم وزوجه عليهما السلام في فخِّ إبليس عليه اللعنة، ووسوسته، ومقاسمته لهما إنه لمن الناصحين!

الشيطان ينصح، لكنَّها النصيحة التي تؤدي إلىٰ النار والعياذ بالله.

ومع أن آدم وقع في الذنب إلا أنه سرعان ما تاب وأناب، ولم تكن توبته لتمنعه من وقوع العقوبة، فاستقبلها راضيًا، لكنَّ الله أثابه واجتباه وهداه، وأدخله الجنة خالدًا مخلدًا فيها.

وهكذا كان الصالحون من أبنائه، فهذا موسىٰ ظلم نفسه، وقال: ﴿ظَلَمۡتُ نَفۡسِي فَٱغۡفِرۡ لِي﴾ ﴿فَغَفَرَ لَهُۥٓ﴾ [القَصَص: ١٦]!

وَجَدُّ موسىٰ يوسف اعترف بضعفه، وقال لربه: ﴿وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ﴾ [يُوسُف: ٣٣]، ﴿فَٱسۡتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنۡهُ كَيۡدَهُنَّۚ﴾ [يُوسُف: ٣٤].

ورحم الله الحسن حين قال: «إنَّ الله لم يقصص عليكم ذنوب الأنبياء تعييرًا منه لهم، ولكنه قصَّها عليكم لئلَّا تقنطوا من رحمته، وتيأَسوا من فضله».

٣٣- كان العلامة الكبير محمد دراز يقرأ يوميًّا ستة أجزاء من القرآن، ولم يتركه حتىٰ أثناء الحرب العالمية التي عاصرها وقت وجوده بفرنسا!

وحكىٰ من رافقه في سفره أنه كان لا يُرىٰ إذا اختلىٰ بنفسه الا مصليًا، أو تاليًا للقرآن.

واشتهر عنه أنه كان مُعَظمًا للقرآن.

رحم الله مؤلف (النبأ العظيم)، وشفَّع القرآن فيه.

٣٤- وفي الحديث: (أن تجعل القرآن ربيع قلبي).

يقول الطيبي: «كما أنَّ الربيع زمان إظهار آثار رحمة الله تعالي، وإحياء الأرض بعد موتها، كذلك القرآن يظهر منه تباشير لطف الله من الإيمان والمعارف، وتزول به ظلمات الكفر والجهالة والهموم»، [الكاشف عن حقائق السنن: (٦/ ١٩١٠)].

٣٥- إن القرآن عظيم في كل تفاصيله، جليل في كل مفرداته، يحتاج إلىٰ إقبال وفهم، مع إيمان وحسن تلقٍ، فإذا حصل ذلك أثمرت شجرة الإيمان في القلب، وآتت أكلها بإذن ربها، وصار أصلها ثابتًا وفرعها في السماء.

٣٦- قال الوزير ابن هبيرة (ت: ٥٦٠): «من مكايد الشيطان: تنفيره عباد الله من تدبر القرآن لعلمه أن الهدىٰ واقع عند التدبر، فيقول: هذه مخاطرة، حتىٰ يقول الإنسان: أنا لا أتكلم في القرآن تورعًا»، [ذيل طبقات الحنابلة: (٢/ ١٥٦)].

٣٧- الإيمان بالله، والانقياد لدينه، والاستسلام لشرعه = طريق هدوء القلب، وسكينة النفس، وفي القراءة غير المتواترة: (ومن يؤمن بالله يهدأ قلبه).

«قرأ عكرمة (يهدأ قلبه) بهمزة ساكنة ورفع الباء، أي يسكن ويطمئن.

وقرأ مثله مالك بن دينار، إلا أنه ليَّن الهمزة»، [تفسير القرطبي: (١٨/ ١٤٠)].

٣٨- ذكر الإمام ابن العربي (ت: ٥٤٣) في كتابه [سراج المريدين: (٢/٣٨)] أحوال بعض أهل العبادة من السلف، كختم القرآن كل يوم ثلاث مرات، وأعداد كبيرة جدًّا من الأذكار.

ثم عقَّب عليه قائلًا بنقدٍ عظيم من إمام جليل القدر:

«وهذا أمرٌ رويناه وما رأيناه، ولو حاولناه ما استطعناه، ولعلَّ الله يؤيد أولياءه علىٰ طاعته، ولكنَّ الذي يغبِّر في وجه هذه الأقوال أن أحدًا من الصحابة لم يكن علىٰ هذه الحال، وإنما هذه رهبانية حدثت».

وذكر أنَّه رأىٰ من أصحابه من كان يختم القرآن مرة في الليل، ومرة في النهار، سفرًا وحضرًا، وعلل ذلك بقوله: «لرطوبة لسانه، واطِّراد عمله بذلك وعادته، وهذا هو الذي يرعىٰ طريق الذكر دون الاعتبار به»، ويقصد بالاعتبار: التذكر والتفكر والتدبر، ثم قال: «فأمَّا الاعتبار به فقد يكون بالآية الواحدة في الليلة الواحدة»، [سراج المريدين: (٢/ ٩٧)].

٣٩- ذكر الإمام ابن العربي المالكي الأندلسي رحمه الله (ت: ٥٤٣) في تفسير قول الله تعالىٰ: (إنا سنلقي عليك قولًا ثقيلًا)، ستة أقوال، والسادس منها قوله:

«ثقله: أنَّه لا يبوء بعبئه إلا من أُيِّد بقوة سماوية، وكذلك هو.

ما أعلم من حصله بعد الصحابة والتابعين إلَّا محمد بن جرير الطبري»، [سراج المريدين: (٢/ ٤٣١)].

٤٠- لما حضرت «الإمام الجنيد» الوفاة جعل يتلو القرآن فقيل له: لو رفقت بنفسك!

فقال: «ما أحد أحوج إلىٰ ذلك مني الآن، وهذا أوان طي صحيفتي»، [البداية والنهاية: (١٤/ ٧٦٨)].

٤١- «من المعلوم أنَّ بعض الكلام له خواصُّ ومنافع مجرَّبةٌ، فما الظَّنُّ بكلام ربِّ العالمين الذي فضلُه علىٰ كلِّ كلامٍ كفضل الله علىٰ خَلقِه، الذي هو الشِّفاء التَّامُّ والعصمة النَّافعة والنُّور الهادي والرَّحمة العامَّة، الذي لو أُنزل علىٰ جبلٍ لتصدَّع من عظمته وجلالته؟!»، [زاد المعاد في هدي خير العباد: (٤/ ٢٥٢)].

٤١- «لا تقعدوا فُرَّاغًا = فإنَّ الموت يطلبكم!»، وأقبلوا علىٰ كتاب ربكم، تعلَّموه، واعملوا به.